تصدر منتصف كل شهر هجري [ وفي كل شهرين مؤقتا ] السنة التاسعة

١٥ ربيع الأول / ١٤٢٦ هـ

مركز الإمام الألباني

٤٨

# الأصالة

رسالة إسلامية منهجية جامعة

## عودة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة

### اقرأ في هذا العدد ...

★ أدب النفس الشيخ العلامة جمال الدين القاسمي رحمه الله

★ نصر الله وتحقيق وعده
فضيلة الشيخ محمد صفوت نورالدين رحمه الله

★ الوصية بزيارة أهل العلم والفضل
فضيلة الدكتور علي بن ناصر الفقيهي

★ تعظيم قدر العقيدة الصحيحة
معالي الشيخ صالح آل الشيخ

★ تحريف الكلم عن مواضعه فضيلة الشيخ سعد الحصين

★ القول الحسن وأثره في ائتلاف القلوب
الشيخ الدكتور محمد بن موسى آل نصر

★ المؤمن والنخلة فضيلة الشيخ سليم الهلالي

★ ( وكفى بنا حاسبين ) الشيخ علي بن حسن الحلبي

★ فقه الواقع وجهة نظر أصولية فضيلة الشيخ مشهور حسن

★ جماعة الأفهام أسرة التحرير

"الأصالة أشعر أنها اسم على مسمى ان شاء الله"

الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله

مجموع فتاويه

6318

مركز الإمام الألباني للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية

00962-5-3611323

رسالة إسلامية منهجية جامعة

# الأصالة

٤٨

عودة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة

السنة العاشرة — تصدر منتصف كل شهر هجري (وفي كل شهرين مرة مؤقتاً)
الناشر (مركز الإمام الألباني للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية)

١٥ ربيع الأول ١٤٢٦هـ

عنوان المراسلة

الأردن
ص.ب (٢٦٩٩) الرمز البريدي (١٣٧١٣).
تلفاكس: ٣٦١١٢٣٢ - ٥ - ٠٠٩٦٢
موقعنا على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت):
www.albanicenter.com
البريد الإلكتروني:
albani1421@hotmail.com

ترسل المقالات والاشتراكات باسم رئيس تحرير مجلة الأصالة

وتطلب (الأصالة) من جميع المكتبات السلفية في العالم.

أسرة التحرير

رئيس التحرير:
الشيخ/ د. محمد بن موسى آل نصر

مدير التحرير:
الشيخ/ علي بن حسن الحلبي الأثري

الأعضاء:
الشيخ/ سليم بن عيد الهلالي
الشيخ/ مشهور بن حسن آل سلمان

ثمن النسخة

الأردن: (دينار)، الإمارات المتحدة: (١٠ دراهم)، البحرين: (دينار)، السعودية (١٠ ريالات)، الكويت: (٨٠٠ فلس)، أوروبا (٤ دولارات)، أمريكا (٥ دولارات).

الاشتراكات

- المملكة العربية السعودية (١٠٠ ريالاً).
- بقية الدول العربية (٣٠ دولاراً).
- أوروبا (٣٥ دولاراً).
- أمريكا (٥٠ دولاراً).

صاحب الامتياز والمالك: (شركة الأصالة للاستشارات الثقافية)

ترخيص دائرة المطبوعات والنشر برقم (١٣٢٨/٣/٤)- رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (٢٠٠٢/٢٢٠٣/د).

## إخواننا القراء

نرحب بكل مقال علمي رصين، ونرغب في كل نقد هادف بناء

في (الأصالة):

منبر لكل مسلم مخلص داعٍ على الحق . .

- وفقنا الله وإياكم لكل خير -.

# خطبة الحاجة

إنَّ الحَمْدَ للهِ؛ نَحْمَدُهُ، وَنستَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بـاللهِ مِـنْ شُـرُور أَنْفُسِـنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّـدٍ ﷺ، وَشَـرَّ الأُمُـور مُحْدَثَاتُها، وَكُلَّ مُحْدَثَـةٍ بِدْعَـةٌ، وَكُـلَّ بِدْعَـةٍ ضَلالَـةٌ، وَكُـلَّ ضَلالَـةٍ فِـي النَّـار.

# محتويات العدد


- **فاتحة القول:** بين حرمة الدماء والأعراض

أسرة التحرير ..... ٥

- **تأملات قرآنية:** ﴿ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾

الشيخ أبو الحارث علي بن حسن الحلبي ..... ٧

- **الكلم الطيب:** المؤمن والنخلة

الشيخ أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي ..... ١٣

- **وحدة الأمة:** القول الحسن وأثره في ائتلاف القلوب

الشيخ أبو أنس محمد بن موسى آل نصر ..... ١٥

- **العلم والعلماء:** الوصية بزيارة أهل العلم

الشيخ علي بن ناصر الفقيهي ..... ١٧

- **أدواء ودواء:** تحريف الكلم عن مواضعه

الشيخ سعد الحصين ..... ٢١

- **في العقيدة:** تعظيم قدر العقيدة الصحيحة

الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ ..... ٢٨

- **سبل أهل الأهواء:** فقه الوصول إلى (القمة!) عند الخوارج

الشيخ أبو عبدالرحمن هشام العارف المقدسي ..... ٣٢

. **تهذيب النفوس:** أدب النفوس

العلامة الشيخ جمال الدين القاسمي ..... ٣٤

. **دراسات أصولية:** فقه الواقع وجهة نظر أصولية

الشيخ أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان .....٣٩

. **ردود وتعقبات:** في القراءة والقراء

مالك بن حسين بن شعبان ..... ٤٤

. **إن وعد الله حق:** نصر الله وتحقيق وعده

الشيخ محمد صفوت نور الدين ..... ٥٤

. **مسائل علمية:** إرشاد القاري بجواز إطلاق لفظة(شيء) على الباري

أسامة بن عبدالله الطيبي ..... ٥٩

. **توجيهات وإرشادات:** جولات مع فقه أئمة المساجد

الشيخ خالد مأمون آل محسوبي ..... ٦٨

. **ركن المرأة المسلمة:** دور المرأة المسلمة في تمكين الوحدة الإسلامية

نجلاء الصالح ..... ٧٣

. **مسك الختام:** وحدة الأفهام

أسرة التحرير ..... ٨٣


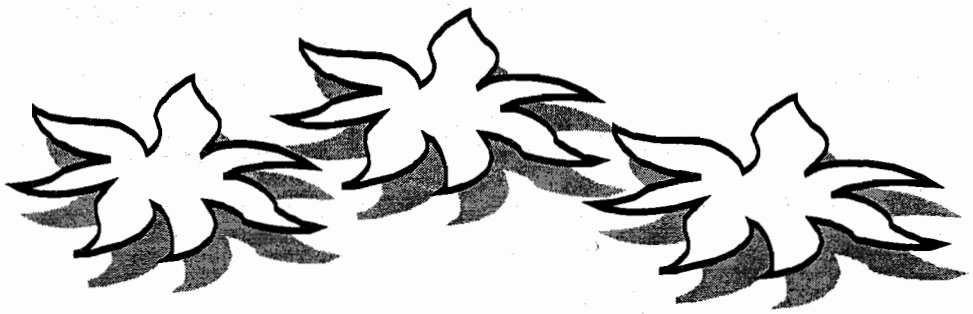

# بين حُرمة الدّماء والأعراض

• بقلم: أسرة التحرير

في يوم عظيم مشهود ، شهده زهاءُ سبعين ألفًا من الصحابة -رضي الله عنهم- وضع إمام الدعاة إلى الأخلاق -عليه الصلاة والسلام- منهجًا للأخلاق حين قال -معلنًا للخلق جميعًا،وإلى يوم القيامة-:«إنَّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا»، ولكن يأبى كثير من أدعياء الدعوة والعلم والتربية، إلا أن يرموا بهذه المبادئ السامية، والأخلاق السامقة بعيدا، ويضربوا بها عرض الحائط، فيطلقوا العنان لألسنتهم وأقلامهم، ولوغًا وتجريحًا في أعراض الأبرياء من عباد الله، بل من خاصة خلق الله -وهم العلماء، الذين هم ورثة الأنبياء بحق- ويحسب هؤلاء السفهاء أن الله غافل عمّا يعمل الظالمون، وأنّ الله لا يدافع عن الذين آمنوا من كل خوّان أثيم، ومن كل مجرم لئيم ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الفرقان:٣١].

ورحم الله الإمام ابن عساكر القائل: «لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هَتْكِ منتقصيهم معلومة، ومن تناول العلماء بالثلب، ابتلاه الله بموت القلب».

وليت هؤلاء السُّوقة -من سفهاء التكفيريين والحزبيين- تناولونا بحق، وعدل، وإنصاف، إذاً؛ لشكرنا لهم صنيعهم، وعدنا إلى قول الفاروق -رضي الله عنه- : «رحم الله عبداً أهدى إليّ عيوبي»، ولكنهم -عاملهم الله بما يستحقون- استخدموا كلّ ألفاظ الفسقة وأهل المُجون، وأصحاب الحانات، ونُزلاء دور البغاء(!) بأسماء مستعارة، تُخفي وراءها الجُبن والعار، والذل والتسفل ، فجعلوا من (شبكة الإنترنت) منبراً لبذيء القول وسيئه.

فلئن خفي حالهم عن أكثر الناس، فإنهم معروفون عند بعض من لازموهم في فترة من الفترات -غير المأسوف عليها!- ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ﴾ [محمد: ٣٠]، وكلماتهم المنثورة الكليلة القبيحة هي نفسها كلماتهم المنظومة السقيمة.

وقد حَسِبَ هؤلاء أنّ الله لن يكشف سرائرهم وما تخفي صدورهم -يوماً من الدهر-، فماذا ينقم هؤلاء الجبناء التكفيريون من (مركز الإمام الألباني) ومؤسسيه؟! الذين راهن هؤلاء على تفرقهم بعد موت شيخهم الإمام -رحمه الله-، إنما ينقمون منهم أنهم كشفوا زيف التكفيريين والحزبيين، وهزوا أركان نظامهم العالمي المفسد في الأرض، المزعزع لأمن المجتمعات الإسلاميّة، والذين مهدوا لأعداء الإسلام ليبطشوا بهذه الأمّة، ويغزوها في عقر دارها، فخدموا أعداء الإسلام خدمات جُلّى ما كانوا يحلمون بها.

ولا يستهجن ولا يستغرب ممن يقتلون أهل الإسلام، ويَدَعون أهل الأوثان -من لا يرقبون في دماء المسلمين إلًّا ولا ذمّة-، أن يصونوا أعراض المسلمين، فمن لم يسلم منهم دمه، فكيف يسلم منهم عرضه؟!

﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌ ﴾.

﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ﴾

والحمد لله ربّ العالمين.

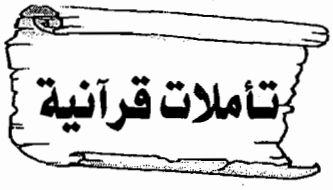

تأملات قرآنية

# ﴿ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾

• بقلم: الشيخ أبي الحارث علي بن حسن الحلبي الأثري

. . . في مَتاهَةِ الأخذ والردِّ، وفي غياهبِ التَّعصُّبِ لِـ (مَعَ وضدّ)، وفي غَمْرَةِ المُناكفاتِ (الفكريّة) -بين أحد وأحَد- تضيعُ كثيرٌ من الحقائق، وتغيبُ عديدٌ من المُسلّمات . . .

وهذا القَدْرُ -إلى هنا- (قد) يكونُ مقبولاً -نوعاً ما !- لِمَا هو معلومٌ مِن حقيقةِ النَّفْس البشريّة التي جُبلت على الإحسان، أو الإساءةِ: بِقدر حُبّها للأشياءِ، أو بُغضها لها . . . إلا مَن رَحِمَ اللهُ!

ولكنّ الشأنَ الذي تضجُّ منه قلوبُ العُقَلاء، وتستنكرُهُ نفوسُ الأزكياء: أنْ يَخرجَ المرءُ -جرّاء هذه المتاهة، أو تلك الغياهب، أو هاتيك المناكفات!- إلى طَوْرٍ يهبطُ به عن حدِّ القَبُول ذاك، إلى حَدٍّ مُعاكسٍ مُفْظِعٍ، تتطايرُ بسببِهِ الحسنات، وتتكاثر بأثَره المعاصي والسّيِّئات . .

و(كأنّ) المُواقِعَ هذا كُلّه -بغير وَعْيٍ ولا حُسْبانٍ- تغيبُ عنه القطعيّاتُ اليقينيّةُ: أنَّ هناك إلهاً عظِيماً صَمَداً؛ قال عن نفسِه في كتابِهِ: ﴿ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء:٤٧][1]:

---

(١) قال العلامة المباركفوري في «تحفة الأحوذي» (٣١٦٥) -مُفسراً-: «إذ لا مزيدَ على عِلْمنا وعدِنا».

قال الإمام البِقاعي في «نظم الدرر» (١٢/ ٤٣٠): «أي: لا يكون في الحساب أحد مثلنا، ففيه توعّد -من جهة- أنّ معناه: **أنه لا يروج عليه شيء من خداع، ولا** يقبل غلطاً، ولا يضلّ ولا ينسى، إلى غير ذلك من كل ما يلزم من نوع لبس، أو شوب نقص.

ووَعْدٌ -من جهة- أنه يطلع على كل حسن فَقُيِّدَ، وإن دقّ وخفي».

وقال العلامة صِدِّيق حسن خان في «فتح البيان» (٨/ ٣٣٤-٣٣٥): «﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾: أي محصين في كل شيء، والحَسْبُ -في الأصل- معناه العَدُّ، وقيل: عالمين؛ لأنّ من حسب شيئاً علمه وحفظه، وقيل مجازين على ما قدموه من خير وشر، **والغرض منه التحذير**، فإنّ المحاسب إذا كان في العلم بحيث لا يشتبه عليه شيء، وفي القدرة بحيث لا يعجز عن شيء، **فحقيق بالعاقل أن يكون على أشدّ الخوف منه**».

وقال العلامة عبدالرحمن بن ناصر السَّعدي في «تيسير الكريم الرحمن» (٣/ ١٠٦٩): «يعني بذلك نفسه الكريمةَ، فكفى بها حاسباً، أي: عالماً بأعمال العباد، حافِظاً لها، مُثْبِتاً لها في الكتاب، عالماً بمقاديرها، ومقادير ثوابها وعقابها، واستحقاقها، مُوصِلاً للعمّال جزاءَها».

فَمَنْ غابت عنه -في لحظةِ طيشٍ، أو ساعةِ غفلةٍ- عظمةُ الألوهيّة، وذُلُّ العبوديّة؛ فلم يُميّز الباطلَ من الحقّ، ولم يفرِّق بين الهدى والضّلال، ولم يضْبِط ما بين الشبهة العلميّة، والفِرية الجليّة:

فَلْيَعُد إلى ربّهِ . .

وَلْيَتُب إلى مولاه . .

ولْيصدُق مع نفسه . .

ولْيُحْسِن بِقَدرِ إساءته . .

وقد روى الإمام الترمذي (٣١٦٥)، والإمام أحمد (٦/ ٢٨٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٥٨٦)، -وصحّح سندَهُ شيخُنا- عن عائشةَ -رضي الله عنها- أنّ رجلاً قَعَد بين يَديّ النبي ﷺ، فقال: يا رَسول الله! إنّ لي مملوكين يُكذّبونني، ويَخُونونَني، ويَعْصُونَني، وأَشْتُمُهم، وأَضْرِبُهم، فكيف أنا مِنْهُم؟! قال:

«يُحْسَبُ ما خانوكَ وعَصَوْكَ وكذّبوك، وعقابُكَ إيّاهُم؛ فإن كان عِقَابُكَ إيَّاهُم بِقَدْر ذنوبهم؛ كان كَفَافاً؛ لا لكَ ولا عليك، وإن كان عِقابُك إيَّاهُم دون ذُنُوبِهم، كان فَضلاً لك، وإن كان عِقَابُك إيَّاهُم فوقَ ذُنُوبِهم؛ اقْتُصَّ لهم مِنْكَ الفَضْلُ»، قال:

فتنحّى الرجل، فجَعَلَ يبكي ويَهْتِف، فقال رسول الله ﷺ:

«أما تقرأ كِتَابَ الله: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾» [الأنبياء:٤٧] الآية.

فقال الرَّجل: والله يا رسول الله! ما أجد لي ولهؤلاء شيئاً خَيْراً من مُفَارَقتِهم، أُشهِدُكُم أنّهم أحْرَارٌ كُلُّهم.

فأقولُ:

هل نرى -اليومَ- أمثالَ هذه النفوس النقيّة؟!

وهل نُدرِك آثارُها الرضيّة؟!

وهل تكونُ لنا -تلك- قُدوةً سنيّة؟!

. . . فإنْ لم تجد -أيُّها الظالم نفسَك والآخرين- مَنْ يَردَعُكَ فيما تَلبّسْتَ به، مِن ظلام البَهْتِ، وظُلْم التَّقوُّل؛ فهل تظنُّ الدنيا غايةَ حالِك، ونهايةَ أحوالِك؟!

إن تَخفَّيْتَ -يا هذا- هَرَباً، أو جُبْناً، أو جهلاً- تحتَ أسماءٍ مُفتراة، أو رَمَيْتَ من وراء جدار!

إنْ حَسِبْتَ أن لا مُحاسبَ لك في الدنيا: فهل تتوهّم نفسَك ناجياً مِن حِساب الجبّار -جلَّ في علاه، وعظُمَ في عالي سماه-؛ وهو القائل: ﴿ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء:٤٧]، و ﴿ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [غافر:١٧] . . .

فأين أنت مِن قول ربِّ العالمين في كتابِهِ الحكيم: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ ﴾ [النساء:١٠٨].

فحالُ ذاك الغافل المُتَغافل -الذي يَفْري في الأعراض، ويقذفُ الأبرياء، ويطعنُ الشرفاء- بما ليس له مِن العلم به نصيبٌ، ولا إليه سببٌ (كأنَّهُ) داخلٌ -بقبيحِ عمله، وسوء

قولِـه- ضِـمْنَ أولئـك الـذين ﴿ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴾ [النبأ:٢٧] . .

أين هؤلاء الظَّلمة -مَهْما اسْتَخْفَوا، ومهما تنكّروا، ومهما تَوَارَوا- مِن قولِ الله -تعالى-: ﴿ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴾ [الشعراء:١١١].

وما أجملَ ما رواهُ الإمامُ ابـن أبي الـدنيا في «الصـمت» (٣٤) عـن الحسـن -رضي الله عنه- أنه قـال: «مـا عَقَـل دِينَـه مَـن لم يحفـظْ لسانَه»!

ولن يَكونَ من أهلِ الحقِّ والـدِّين -بـإذنِ ربِّهم- هبوطٌ إلى دَرْكِ أولئك الظالمين أنفسَهم والآخـرين؛ لِيُواجهـوا فِـريَتَهم بفريـةٍ، أو قذفَهم بقـذفٍ، أو طعـنَهم الغـادرَ بمثلـهِ، أو استخفاءهم وَجُبْنَهم بِشِبْهِهِ!!

بل هم -أبداً- يستحضرون قول رسولهم الكريم ﷺ -المتفقَ عليه-: «لا يضرُّهـم مـن خالفهم، ولا مَن خَذَلهم . .» . . .

فذاك -كلُّه- كما قدّمتُ- لـيس هـو مِـن مسـائل العلـم، ولا قضـايا الخِـلاف؛ حتـى يكونَ فيه شبهةُ تخطئةٍ، أو تبديعٍ، فضـلاً عـن شيءٍ مِن التكذيب -بِحَسَبِهِ-!!

فهل أولئك الظالمون يَعُونَ هذه الـدقائق؛ أم هم عنها غافلون؟!

هل هُم يعلمـون أنّهـم -بقـالهم الـدنيء- هذا- إنّما يَضُرُّون أنفسَهم، ويُخْرِبُـون بيـوتَهم بأيديهم؟!

هل هم يشعرون أنّهم -بِسُوءِ مـا قـالوا- إنّما يُضيفُون إلى من تكلَّموا فيهم -بالباطـل- أجراً، وثواباً مِن ربِّهم؟!

روى الإمـام الترمـذي (٢٣١٩)، وابـن ماجـــه (٣٩٦٩)، وأحمـــد (٣/ ٤٦٩)، -وصحّحه شيخُنا- عـن بـلال بـن الحـارث المُزَني -رضي الله عنه-، عن النبـيّ ﷺ، قـال: «إنّ الرجل ليتكلّمُ بالكلمةِ من رضـوان الله، ما يظنُّ أن تبلغَ ما بلغـت: يكتـبُ اللهُ لـه بهـا رضوانَهُ إلى يـوم يلقـاه، وإنّ الرجـلَ ليـتكلّمُ بالكلمةِ من سَخَطِ الله، ما يظُنُّ أنهـا تبلُـغُ مـا بَلَغت: يكتُـبُ اللهُ عليـه بهـا سَـخَطه إلى يـوم القيامة».

. . . فبالله؛ هذا الذي يتكلّم بالكلمة مـن سَخَطِ الله -بغير حقّ، ولا بيّنـة، ولا حُجّـة- بل ولا شُبهة- بل يعلمُ أنّها باطـلٌ، وأنّـه بهـا

مُبطلٌ -ثم يُصِرُّ عليها، ولا يرجع عنها-؛ ما حالُهُ؟! وما مآلُهُ؟!

ما أجملَ ما رواه الإمام أحمد في «الزهد» (١٦٠) عن ابن مسعود -رضي الله عنه-، قال: «إنّ أكثرَ الناسِ خَطَايا يومَ القيامةِ، أكثرُهم خوضاً في الباطل».

فإنْ كُنْتَ -يا ظالمُ- اللهمّ النّجاةَ- تَشْفي غَيْظَ نفسِك مِن مُخالِفك بهذا الباطل الجريء، وذاك القولِ الدنيء؛ بغيرِ شَفَقةٍ عليه، ولا حِرْصٍ يُدْنيك إليه؛ أفلا تكونُ مُشْفِقاً على نفسِك؟!

أم تَحسَبُ أنّك مِن الخالدين في هذه الدنيا الدنيّة؟!

أم لَنّك لا تعلم (!) -أم لا تُدرك!- أنّ هناك حِساباً، وثواباً، وعِقاباً . . .﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾[الزلزلة:٦-٧]. . .

وما أعظمَ قولَ رسولِ الله ﷺ -الذي رواه الترمذي (١٩٧٧)، وأحمد (١/ ٤١٦) -وغيرهما- عن ابن مسعود: «ليس المؤمن بالطعّان، ولا اللّعان، ولا الفاحش البذيء».

وقد جَمَعَ بعضُ جهلةِ الظالمين، ومجهولي المفترين -هذه الأوصاف كلِّها- أجمعين أكتعين أبْتَعين-!!!

فطعنوا . .

ولعنوا . .

وتفحّشوا[٢] . .

وبَذَؤوا . .

بل افْتَرَوْا . .

وكّذّبوا . . .

. . . بما لو وُوجِهوا (ببعضِهِ) -قضاءاً شرعيّاً- لنالوا بهِ سِياطاً يَنْسَوْنَ -بها- طِيبَ طعامِهم، وحُسْنَ عيشِهم، ولارتدعوا -بآثارها- عن سُوءِ مقالهم، وبَذَاءِ كلامهم، وشرِّ كذبهم!!

فإنْ أفْلَتوا ممن ظلموهم -هنا-:

فلن يُفْلِتوا مِن ربِّهم -هُناك- ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ . . .

---

(٢) والرسول ﷺ يقول: «إنّ الله -عزَّ وجلّ- لَيُبْغِضُ الفاحِشَ البذيء» رواه الترمذي (٢٠٠٢)، وأحمد (٦/ ٤٥١) عن أبي الدرداء، وصحّحه شيخُنا -رحمه الله-.

ووالله؛ لم أتذكّر -بسبب هَوْلِ افتراء هؤلاء الظالمين - الجهلة المجهولين- الغائبين عن حقيقة معنى قول ربّ العالمين: ﴿ وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ ﴾ إلا قولَ الشاعر:

الحُرُّ يَأبى أن يبيع ضميرَه
بِجَميعِ ما في الأرض من أموالِ
ولَكَمْ ضمائرَ لو أردتَ شراءها
لَمَلَكْتَ أغلاها بِرُبعِ ريالِ
شتّان بين مُصرِّحٍ عن رأيِهِ
حُرٍّ وبين مُخادِعٍ خَتَّالِ
يرضى الدناءةَ (مثلُ) نَذْلٍ ساقطٍ
إنّ الدناءة شيمةُ الأنذالِ

ووجدتُني أقولُ على نَسَقِهِ -مُتَمِّماً -خاتماً-:

واللهُ ينصُرُ عبدَه في حَقِّهِ
نَصْراً يُناقضُ جَوْلةَ البطّالِ
نَصْراً يُعِزُّ به الحقيقَ بحقّهِ
نَصْراً يُطاول صولَة الأبطالِ
أمّا الغويُّ بما افتراهُ بِكِذْبِهِ
لا لن يدومَ بحالِهِ في حالِ
لا ليس في قولٍ له في قالِه
من حُجّةٍ غير المقولِ وقالِ
ولئن تكاثرت الظِّباءُ على الفتى
فَخِرَاشُنا يعلو على الجُهّالِ
اربِطْ لسانَك يا جهولُ عن الهوى
واشْدُدْ عليه بِقوَّةٍ وعِقالِ
واللهُ يغفرُ زلّةً مقبولةً
ليست كمِثْلِ سِرايةِ القَوّالِ
في ظلمها في كِذْبها في فَرْيها
فرِّقْ هداك اللهُ في الأحوالِ
أمّا المُشاغبُ ليس يعدو قدرَه
شؤمُ التّعصُّب مُهْلِكُ الأذيالِ
وكفى بربِّ العرش يَحْسُبُ قولَهُ
ذاك الإلهُ هو العظيم العالي

. . . والله الهادي إلى سبيل الرشاد، والموفِّق للخيرِ جميعَ العباد . . .

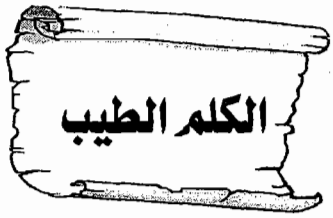


# المؤمن والنخلة

• بقلم: الشيخ أبي أسامة سليم بن عيد الهلالي

في «الصحيحين» من حديث عبد الله ابن عمر –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ:

«إنَّ من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم؛ فحدِّثوني ما هي»؟

فوقع الناس في شجر البوادي، ووقع في نفسي: أنها النخلة؛ فاستحييت، ثم قالوا: حدِّثنا ما هي يا رسول الله، قال:

«هي النخلة».

هذا الحديث يُخبر عن آية من آيات الله اشتدَّ شبهها بالإنسان عموماً؛ فإنَّ فيها إناثاً تحتاج إلى لقاح، ولذلك جعلت ذكور اللقاح بمنزلة الإنسان.

وأما شبهها بالمؤمن، فمن وجوه متعددة؛ منها:

**أحدها:** ثبات أصلها في الأرض، واستقراره فيها، وكذلك ثبات الكلمة الطيبة في قلب المؤمن.

**ثانيها:** طيب ثمرتها وحلاوتها وعموم النفع بها، وكذلك المؤمن طيب الكلام، طيب العمل، طيب الرائحة، منفعته لنفسه ولغيره.

**ثالثها:** دوام لباسها؛ فلا يسقط ورقها صيفاً ولا شتاء، وكذلك لباس التقوى لا يزول عن المؤمن حتى يأتيه اليقين.

**رابعها:** سهولة تناول ثمرتها، وكذلك المؤمن سهل قريب كالجمل الأَنِف؛ إذا استُنيخ استناخ.

**خامسها:** ثمرتها من أنفع ثمار العالم، وكذلك الإيمان يجعل الإنسان أكرم المخلوقات؛ لأنه يرتفع به من الدرك الأسفل إلى القمم السامقة.

**سادسها:** أنها أصبر الشجر على الرياح والجهد والعطش، وكذلك المؤمن صبور على البلاء لا تزعزعه الفتن، ولا الشبهات، ولا الشهوات؛ فهو كالطود الأشم والجبال الراسيات.

**سابعها:** أنَّ النخلة كلها منفعة: ثمرها، وجذعها، وسعفها، وخوصها، وليفها، وكذلك المؤمن كله نفع: قوله وفعله، نطقه وسكوته، حركته وسكونه فحيثما وقع نفع.

**ثامنها:** أنها كلما عُمِّرت زاد خيرها، وزكى ثمرها، وكذلك المؤمن: إذا طال عمره، ازداد خيراً وحسن عمله.

**تاسعها:** أن قلبها من أطيب القلوب وأحلاها، وكذلك قلب المؤمن سليم منيب مخبت مطمئن.

**عاشرها:** أنه لا يتعطل نفعها بالكليّة أبداً، وهكذا المؤمن لا يخلو عن شيء من خصال الخير، فلا يزال خيره مأمولاً، وشره مأموناً.

والحمد لله ربّ العالمين.

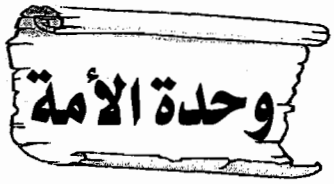

وحدة الأمة

# القـول الحسن وأثـره في ائتـلاف القـلـوب

• بقلم: الشيخ أبي أنس محمد بن موسى آل نصر

إنّ تأليف القلوب على طاعة الله ورسوله ﷺ، ومحبة بعضهم بعضاً؛ من أعظم مقاصد الشريعة الغرّاء، فالاجتماع رحمة -أبداناً وأفهاماً-، والاختلاف عذاب، بل سماه النبي ﷺ: «الحالقة، التي تحلق الدين لا الشعر».

ولقد بعث الله محمداً ﷺ إلى العالمين، والناس أشد ما يكونون فرقة واختلافاً، حتى إنّ القوي يأكل الضعيف، والكبير لا يرحم الصغير، والصغير لا يوقّر الكبير، متفرقين شذر مذر، كأيدي سبأ-؛ فكشف الله به ﷺ الغمّة، وأزال به الظلمة، بإخراج الناس من عبادة العباد، إلى عبادة ربّ العباد، وجمعهم على إله واحد، وعقيدة واحدة، وكتاب واحد، ونبي واحد، ونظم علاقاتهم، فأعطى كل ذي حقّ حقه، ولم يدع شيئاً من الخير إلا بيّنه بياناً شافياً، وحثّ عليه حثّاً أكيداً كافياً، ولم يدع شيئاً من الشر إلا حذّر منه تحذيراً شديداً وافياً.

فدعا لإصلاح النيّة والقول والعمل؛ لأنّ صلاح القلوب منوط بصلاح هذه الثلاثة: النيّة، والقول، والعمل.

وهذه الثلاثة لا تنفصم عراها، فالنيّة تسبق القول والعمل، ويلزم أن تكون خالصةً لله، والعمل يجب أن يكون على هدي رسول الله ﷺ، والقول يعوزه أن يكون حسناً، لئلا يكون سبباً في تعكير صفاء القلوب، كما قال -تعالى-: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾

[البقرة:٨٣]، أي: قولاً حسناً لمؤمنهم وكافرهم، فالكلمة الطيبة صدقة، وكم من كلمة طيبة كانت سبباً في هداية ضال، وإنابة عاصٍ، وتوبة زائغ.

وإنّ الكلمة السيئة النابية تعمل في القلوب عمل المعاول في هدم البنيان، والشيطان يستغلها أسوأ استغلال، ويوظفها أسوأ توظيف؛ لتحقيق أغراضه وأهدافه في تفريق الأحبّة، وإلقاء العداوة والبغضاء بينهم، قال -تعالى-: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾. [الإسراء:٥٣]

قال عمر الفاروق -رضي الله عنه-: «لا تظنّن بكلمة خرجت من فم أخيك شراً، وأنت تجد لها في الخير محملاً».

فالواجب مراعاة الأخوّة والمودة، ونقاء السرائر، فكم من كلمة قاسية جافية فرّقت بين اثنين، بعد أن عاشوا أحبّة عشرات السنين، فينبغي قطع الطريق على الشياطين، والتماس أحسن المعاذير حفاظاً على الأخوّة والمودة؛ خصوصاً في هذا الزمان الذي كثُر فيه والخذلان، والغدر، والذي قلّما يصفو فيه لك صديق -إلا من رحم الله- وكما قال بعض السلف: «كان الناس ورقاً لا شوك فيه، فصاروا شوكاً لا ورق فيه».

ورحم الله القائل:

ذهب الذين إذا مرضت تجهّلوا
وإذا جهلتُ عليهم لم يجهلوا
وإذا أصبت غنيمة فرحوا بها
وإذا بخلتُ عليهم لم يبخلوا

وقانا الله شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، وخلّقنا بأخلاق نبيه ﷺ قولاً، وعملاً، وهدياً، إنه خير مأمول، وأعظم مسؤول.

# الوصية بزيارة أهل العلم والفضل

• بقلم: فضيلة الدكتور علي بن ناصر الفقيهي

إنَّ من خير ما يفيد المسلم في دينه ودنياه مصاحبة أهل الفضل والعلم، ومحبتهم في الله -عزَّ وجل-، وزيارتهم في الله ومجالستهم، وأخذ العلم عنهم، والاقتداء بهم.

وإنّ مجالسة أهل الخير قد حثّ عليها كتاب الله -عزَّ وجل- كما حثّ عليها رسول الله ﷺ قولاً وفعلاً.

يقول الله -تعالى- في ذلك: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨].

ويقول -تعالى- في قصة موسى -عليه والسلام- الذي رحل إلى ذلك العبد الصالح الذي أعطاه الله علماً لم يعطه لموسى -عليه السلام- فرحل إليه ليأخذ العلم عنه، قال -تعالى-: ﴿ و قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن

سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف:٦٠-٦٦]، يُشير إلى قوله -تعالى- لنبيّه محمد ﷺ: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ... ﴾ الآية.

يقول الإمام ابن كثير في تفسير الآية: «أي: اجلس مع الذين يذكرون الله ويهلّلونه، ويحمدونه، ويسبحونه، ويكبرونه، ويسألونه الخير والمغفرة بكرة وعشياً من عباد الله، سواء كانوا فقراء أو أغنياء، أو أقوياء أو ضعفاء»(١).

وذلك لأنّ سبب نزول هذه الآية خاص، ولكن القاعدة: أنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

وسببها أنّ أشراف قريش طلبوا من النبي ﷺ أن يجلس معهم وحده ولا يجالسهم بضعفاء أصحابه، كبلال، وعمار، وصهيب، وخبّاب، وابن مسعود -وهم ضعفاء- في عُرفهم الجاهلي، وليفرد أولئك بمجلس على حِدَةٍ، فنهاه الله عن ذلك، فقال: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [سورة الأنعام:٥٢]، وأمره في هذه الآية أن يصبر نفسه في الجلوس معهم فقال: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ.. ﴾.

فقد روى مسلم في «صحيحه» -في فضائل الصحابة- من حديث سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- قال: كنّا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء لا يجتروؤن علينا.

قال: وكنت أنا وابن مسعود، وبلال، ورجلان لست أسمّيهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فأنزل الله -عزَّ وجل-: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٩/ ١٢٧).

بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [الأنعام:٥٢].

إنّ هذه الآية الكريمة، والأحاديث النبويّة الشريفة تبيّن فضل مجالسة أهل الخير، والحديث معهم؛ لما يعود على الأمة من خير في الدين والدنيا، وقد طبّق المصطفى ﷺ ذلك التوجيه الرباني قولاً وفعلاً.

فنجده يحث على مجالسة الصالحين، ويضرب الأمثلة على ذلك حتى يدرك المخاطب الفائدة الملموسة من تلك المجالسة، وفي الوقت نفسه يحذر من جلساء السوء، ويزور بنفسه الصالحين، ويجلس إليهم، ويتحدث معهم، وكذلك فعل أصحابه من بعده.

فمن الحث على مجالسة الصالحين والابتعاد عن جلساء السوء ما رواه الإمام مسلم في «صحيحه» من حديث أبي موسى -رضي الله عنه-، عن النبي ﷺ قال: «إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإمّا أن تجد منه ريحاً طيبةً، ونافخ الكير إمّا أن يحرق ثوبك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة».

قلت: ومعلوم الفرق بين الاثنين لكل مخاطب، فإنّ من دخل أماكن بيع المسك والعطور فإنه سيجد الروائح الجميلة التي تبعث في نفسه الراحة والنشاط، ومن دخل ورش الحدادة فستبعث إليه الروائح الكريهة التي تؤذيه، وهكذا مجالس أهل العلم والفضل، فإنّ من يغشاها سيجد الخير والفضل، وسيدفعه ما يسمعه وما يراه من أهل تلك المجالس إلى عمل الخير والازدياد منه.

ومن غشي مجالس أهل السوء فإنه لن يسمع إلا شراً ولن يرى إلا سوءاً، وسيصيبه من قربهم ومجالستهم ما يُصيب الصحيح إذا غشي أماكن الأمراض المعدية، وقد نهى رسول الله ﷺ أن يورد ممرض على مصح، والعكس.

ويقول النووي -رحمه الله- في « شرح صحيح مسلم»: «فإنّ في الحديث فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة، ومكارم الأخلاق، والورع، والعلم، والأدب،

والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع ومن يغتاب الناس أو يكثر فجوره وبطالته ونحو ذلك من الأنواع المذمومة».

وكما كان من هدي المصطفى ﷺ زيارة أهل الفضل، فكذلك فعل خلفاؤه من بعده، ففي «صحيح الإمام مسلم» من حديث أنس -رضي الله عنه- قال: قال أبو بكر لعمر -رضي الله عنهما- بعد وفاة رسول الله ﷺ: انطلق بنا إلى أم أيمن -رضي الله عنها- نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها، فلما انتهينا إليها بكت، فقالا: ما يبكيك؛ أما تعلمين أنّ ما عند الله خير لرسول الله ﷺ؟ فقالت: إنّي لأبكي أني لا أعلم أنّ ما عند الله خير لرسول الله ﷺ، ولكن أبكي أن الوحي قط انقطع من السماء، فهيجتهما على البكاء، فجعلا يبكيان معها.

وأم أيمن: هي حاضنة رسول الله ﷺ في طفولته، أعتقها النبي ﷺ حين كبر، وكان النبي ﷺ يكرمها ويبرها، ومما يدل على فضلها قولها: ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء.

وهنا نرى أنّ أبا بكر وعمر -رضي الله عنهما- قاما بزيارة أم أيمن -رضي الله عنها-، وقد أخذ العلماء من هذا الحديث مشروعية زيارة أهل الصلاح والتقوى وإن كان الزائر أفضل من المزور.

وزيارة الإنسان لمن كان صديقه يزورُه، ولأهل وِدّ صديقه، توطد الصداقة والمحبة بين المسلمين.

وإنّ مما يأسف له المسلم ما فشى بين كثير من الناس مما يشبه التقاطع، فقد تجد عدداً من الجيران في عمارة واحدة لا يزور بعضهم بعضاً، بل قد تسأله عن شخص ساكن معه في العمارة التي يسكنها فلا يعرف اسمه!

فينبغي للمسلم أن يتنبه من هذه الغفلة، وأن يعلم أنّ لجاره عليه حقاً، وأدناه السلام عليه والحديث معه.

نسأل الله -تعالى- أن يرشدنا إلى ما فيه خير وصلاح ديننا.

# تحريف الكلم عن مواضعه

• بقلم: فضيلة الشيخ سعد الحصين

قد يُحرَّف الكلم عن مواضعه عمداً، أو خطأً، أو جَهْلاً، بنيّة صالحة، أو فاسدة، ومنذ انقطاع علم الغيب عن مدارك البشر بموت آخر الرُّسل -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- انقطع الحكم على القلوب، وبقي الحُكم على ظاهر القول والعمل، مع أنّ صلاح النيّة لا يُغني عن صلاح القول والعمل على أيّ حال.

ووسائل الإعلام الحديثة مباءة خَطيرة لتحريف الكلِم عن مواضعه؛ لأننا لا نضع الآلة، ولا أهميّة لذلك، فبعض الناس مُسَخّر لبعض، ولا نُحْسن استعمالها مع قدرتنا على ذلك، وانظر -إن كنت في شكّ- إلى بيوت الله التي يُفترض أن تكون قدوة صالحة، كيف تتحوّل مكبِّرات الصوت، وأجهزة التهوية إلى أدوات تعذيب، تُصمّ آذان المصلين، وتصك رؤوسهم وصدورهم، فالإسراف هو القاعدة اليوم، وشرّ سوء استعمال وسائل الإعلام يتعدّى منطقة الشهوات إلى منطقة الشّبهات عندما يتجاوز الإعلاميّون اختصاصهم الظّني إلى اختصاص الموقعين عن ربّ العالمين -في لفظ ابن القيّم -رحمه الله-، وهم العلماء بشرع الله؛ فتتحوّل الحريّة الصحفيّة التي ابتُلينا بها إلى إباحيّة فكريّة، فلا يتورّع الإعلامي، ولا يُرْدَع عن القول على الله بغير علم، فيحكم ويقضي ويُفتي بالجهل، ويجلد علماء الشريعة من أيّ طبقة -منذ عصر الخلفاء الراشدين المهديين- يجلدهم بلسان

جهله المركّب، آمناً من العقوبة البشريّة تحت مظلّة حريّة التعبير -اليونانيّة، الوثنيّة الأصل- تُعطينا مثلاً من تحريف الكلم عن مواضعه.

ومن سوء استعمال المستوردات (اللفظيّة هذه المرّة)؛ فكالعادة استوردنا تقديس اصطلاح حقوق الإنسان مطلقاً، ومن بينها حريّة الفكر، وحريّة التعبير، وحريّة العمل، وحريّة الدين، وكالعادة ركضنا ندّعي -زوراً- أنّ الإسلام سبق إليها، وليس في الإسلام حريّة مطلقة في أي من الحريّات الأربع -وبخاصّةٍ الدين-، فكلّها مقيّدة بأحكام الشريعة، وما خُلق الإنسان إلا للعبوديّة لله وشرعه، قال الله -تعالى-: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦]، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق:١٨]، ﴿ وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الأحقاف:١٩].

واستوردنا كراهية اصطلاح (الإرهاب)، وأضفنا إليه كراهية مصطلح (التكفير) مطلقاً، وكالعادة ركضنا ننفيها بإطلاقها عن الإسلام (زوراً) كذلك، فالتكفير والإرهاب (بحدودهما الشرعيّة) من أمر الله وأحكام الإسلام، قال الله -تعالى-: ﴿ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ ﴾ [التوبة:٧١-٧٥]، ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقال النبي ﷺ: «من حَلَفَ بغير الله فقد كفر أو أشرك»، وإساءة المسلم (وغير المسلم) وخروجه عن شرع الله باسم الإسلام، كما حدث في أمريكا، (وقبلها وبعدها في أرض القداسة والبركة، وفي أفريقيا، وفي آسيا وغيرها)، لا يجوز أن تحكم فقهنا في نصوص الوحي كما فَقِهها أئمة القرون المفضّلة المعتدّ بهم -وحدهم لا من بَعْدهم- وجُرْمه على نفسه، والإسلام بريء من عمله، والله يهديه أو يقطع دابره.

وإلى القارئ مثلاً أو أكثر من أمثلة تحريف الكلم عن مواضعه، وسوء استغلال حريّة الصحافة وحريّة التعبير وتحويلهما إلى إباحيّة فكريّة تخالف الشرع والعلم والعقل، وتهدم الأساس الذي قامت عليه خير أمّة أخرجت للناس في القرون الثلاثة الأخيرة على أقدس بقعة على وجه الأرض:

أ- بمناسبة عقد المؤتمر الدّولي لمكافحة الإرهاب حاول (أحمد الجميعة) محرّر بإحدى الصّحف اليوميّة أن يقدّم لقرّاء الصحيفة بحثاً عن الإرهاب بدا لي أنّه بلغ من التوفيق ما يبلغه الثور الهائج إذا ما أُطلق في مستودع للأواني الزجاجيّة:

١- حَشَدَ عدداً كافياً من ألفاظ اللغة الصحفيّة المولّدة ليكون بحثه أهلاً للاستهلاك الصحفي، مثل: (محدّدات الإطار المرجعي، والقفز على التّعاليم، التنظير للممارسات السلوكيّة للفكر، تأطير الفكر ورسم السّلوك، الانعكاس، التّداعيات، جرّبت فكر التكفير تَمْرين نفسها على حالات متباينة، اتّساق فكر المسلم مع إطار الإسلام، والحدود التي يسمح بها اجتهاده في الفروع للارتقاء بمستوى تفكيره دون الحجر عليه)، وأشهد على نفسي أني عجزت عن فهم ما يقول على أساس من دراستي العربيّة والشرعيّة منذ ستين سنة، ولا أظنّ أنّ علماء اللغة والشريعة منذ القرن الأول سيكونون أوفر حظّاً مني، أنا الذي ابتُليت بشرّ الإعلام وخيره، وأنجاهم الله منه.

٢- ظنّ أنّ جذور الإرهاب التكفيري الآثم في هذا العصر موجودة في تاريخ المسلمين منذ العقد الثاني للقرن الأول الهجري -الذي وصفه النبي ﷺ بأنّه خير القرون- مستدلاً بحروب الردّة.

٣- هداه -استقراؤه فكر الخوارج والمكفّرين، والغلاة، والمتطرفين، والمنظّرين لفكر الإرهاب الجديد- إلى سبْقٍ صحفيّ لم يهتد إليه -فيما أعلم- مسلم، ولا وثني يبحث عن الحقيقة، فجعل أهمّ وأوّل واقعة تاريخيّة عبّرت عن ميلاد فكرة التكفير في الإسلام هي حروب الردّة التي خاضها أبو بكر الصديق في مطلع عهده، حيث عَنى تكفيره المرتدين، وقتالهم بالسّيف حُكماً قاطعاً بتراجعهم عن ملّة الإسلام،

وخروجهم عن عقيدته . . . وبذلك تكون حروب الرّدة أوّل بيان رسمي يعلن ميلاد أيدولوجيا التكفير، ويَقرِن التّعبير عن حكم التكفير بقتال الجهة التي يشملها الحكم إياه، وجعل الطور التاريخي الثاني للتكفير ظهور فرقة الخوارج، الذين رفعوا شعار: لا حُكم إلا لله . . . فكانت النتائج المتسارعة لهذا الفكر في هذه المرحلة تكفير الخليفة الثالث عثمان بن عفان -رضي الله عنه-، وقتله، ثم تكفير علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وقتله، وليصل إلى الطور الثالث الحاضر أعاد ترتيب نتائجه، وبرز فكرهم -الخوارج- ظاهراً ليتسلّل إلى فكر الأمّة في أطوار متعددة من تاريخها؛ فمن تكفير المرتدين إلى تكفير مرتكب الكبيرة، إلى تكفير بعض الفرق من الباطنيّة، والطرق الصوفيّة، وأصحاب البدع، حيث تدرّجت فكرة التكفير وتنامت، وجرّبت تحرير نفسها، فوصل إلى مرحلة التكفير والإرهاب الحاضرة، ثم قال: «والواقع أنّ عناصر الشبه والتّقارب بين أفكار التكفير القديمة، وأفكار التكفير الحديثة قائمة، ومتكرّرة، وثابتة على نحوٍ لا لبس فيه، حتى وإنْ تباينت في الشكل والإخراج والعبارة، والسّبب في ذلك أنّ التكفير واحد في النوع وإن اختلفا في التفاصيل».

وأفهم من التقرير مع ما فيه من ركاكة وتعقيد، وتخبّط وخلط: أنّ الصحفي يرى أنّه لا فرق بين تكفير الخليفة الأول -ومعه بقيّة الخلفاء والأصحاب -رضي الله عنهم أجمعين- المرتدين، وبين تكفير الخوارج «حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يمرقون من الدين كما يمرق السّهم من الرميّة» في هذا العصر غير الشكل، والإخراج، والعبارة!

٤- ومع أنّه -تجاوز الله عنّا وعنه- قدح في أوّل وأهم حكم بدأت به الخلافة الراشدة المهديّة التي أمر الرسول ﷺ باتباع سنّتها، وهو الحكم الذي أجمع المسلمون على صحته، وعدُّوه مع إنفاذ جيش أسامة من دلائل توفيق الله أبا بكر للحقّ والثبات عليه، رغم مخالفة من خالفه في أوّل الأمر، ورغم أنّه عدّه فاتحة التكفير والإرهاب الذي نألم منه الآن؛ فإنّه لم يُشِرْ -فيما فهمت منه- ولو إشارة إلى أسوأ أمثلة الإرهاب والتكفيريين المنتمين

للإسلام -أفراد، أو فرق، أو دول- مثل الفاطميين الذين بنوا أوّل أوثان المقامات، والمزارات، والمشاهد، ونشروا ما دون ذلك من الفساد في الأرض، واغتصبوا ولاية المسلمين في المغرب ثم المشرق، ومثل القرامطة للذين اعتدوا على الإسلام والمسلمين، واعتدوا على بيت الله الحرام، وأرهبوا الطائفين والعاكفين والرّكع السجود، ومثل العثمانيين الذين جمعوا بين ظُلم المسلمين في دينهم وظلمهم في دنياهم، واغتصبوا الولاية عليهم، ونشروا الشرك والبدع في كلّ مكان من بلاد المسلمين، واقترفوا أكبر موبقاتهم بتحريك مرتزقتهم لمحاربة الدعوة والدولة التي جدّد الله بها الدّين في جزيرة العرب، وما صحب ذلك من تدمير وقتل بغير حق، وهتك للأعرض، ونفي لولاة أمر المسلمين وعلمائهم، وكان ذلك أشبه شيء بالحرب الصليبيّة -كما يقول د. صالح العبود رئيس الجامعة الإسلاميّة بالمدينة، ود. زكريا بيومي أستاذ التاريخ الحديث في جامعة المنصورة بمصر-، ومثل: حسن الصبّاح وعصابة من الإسماعيليّة النّزاريّة الذين نشروا الرّعب والفساد في الأرض من قلعة الأَلَموت في بلاد فارس، ومثل سيّد قطب الذي حكم على جميع المسلمين بالرّدّة بمن فيهم عباد الله الذين يردّدون على المآذن في مشارق الأرض ومغاربها: أشهد أنّ لا إله إلا الله، أشهد أنّ محمداً رسول الله -كما في كتابيه: «معالم في الطريق» (ص١٠١-١٠٣)، و«في ظلال القرآن» (ص١٠٥٧)-.

٥- وإذا كان الكاتب -ردّنا الله وإياه إلى دينه ردّاً جميلاً- يَعي أو يَعني ما فهمتُ من ذكره: الحدود التي يسمح بها اجتهاده في الفروع لا الأصول للارتقاء بمستوى تفكيره دون الحجر عليه أنّ له أو لمن يخالفهم أو يوافقهم -من غير علماء الشريعة- حقّ الاجتهاد ليقولوا على الله وشرعه ما لا يعلمون دون الحجر عليهم من قِبَل ولاة أمر المسلمين -حَرَس الدّين- الذي أعزّهم الله به؛ فليعلم أنّ بمثل هذا الظن، والاعتداء على حدود الله ضلّ من ضلّ عن الوحي (من الله)، والفقه (من أهله) إلى الكفر والهوى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية:٢٣].

ب- أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- شهد له الله في كتابه بصحبة نبيه ﷺ، وشهد له النبي بالصحّبة والجنّة، واستخلفه في إمامة وإمارة المسلمين في أعظم شعائر الدين، وشهد له بأنّه أكمل هذه الأمّة إيماناً، وفي رأي جمهور العلماء أنّ النبي ﷺ استخلف أبا بكر -رضي الله عنه- على ولاية الأمّة بعده نصّاً أو إيحاءً، وبيّن أنّه لو اتّخذ خليلاً من المخلوقين لكان أبا بكر، وأعتق الله على يديه من الشرك عدداً من الصحابة والمبشرين بالجنّة، وأعتق الله على يديه من الرّق والفتنة في الدين عدداً من رقاب كبار الصحابة، وجنّد نفسه وأهله وماله في خدمة الإسلام وأهله ورسوله، وكان أثبت الصحابة عند النّوازل والشدائد مثل: (الهجرة، والإسراء، ويوم الحديبية، وعند موت النبي ﷺ، وإنفاذ جيش أسامة -رضي الله عنه-، وقتال مانعي الزكاة، وقتال المرتدين بجحدها وهي قرينة الصلاة، أو بالنكوص عن دين الله بالكليّة).

والطعن فيه طعن في اختيار النبي ﷺ وتربيته وصحبته، بل هو طعن في دين الله الذي عَرفنا جزءاً عظيماً منه، بروايته، وفعله، وسنّته، وقد قال الشيخ د. بكر أبو زيد -شفاه الله وأثابه-: «أطبق أهل الملّة الإسلاميّة على أنّ الطعن في واحد من الصحابة -رضي الله عنهم- زندقة مكشوفة»، «تصنيف الناس بين الظن واليقين» (ص٢٦)، ونقل عن أبي زرعة الرازي -رحمه الله- قوله -كما في «فتح المغيث» (٤/ ٩٤)-: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أنّ القرآن حقّ، والرسول حقّ، وما جاء به حقّ، وإنّما أدّى إلينا ذلك كلّه الصحابة».

قال الشيخ بكر: «وقد أجرى العلماء هذا الحكم بمن قدح في أحدٍ من حملة الشرع المطهّر؛ لأنّ القدح بالحامل يفضي إلى القدح بما يحمله من رسالة البلاغ لدين الله وشرعه، ولهذا أطبق العلماء -رحمهم الله تعالى- على أنّ من أسباب الإلحاد: القدح بالعلماء» (ص٢٦-٢٧).

وكأنّما كان يُحذر من سبق (أحمد الجميعة) إلى استغلال وسائل الإعلام بوضع الكلم في غير مواضعه، وبالتالي التّلبيس على الأمّة ﴿ وَهُمْ

يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف: ١٠٤]، منهم: خالد الغنّامي الذي سَبق (صحفيّاً) إلى اكتشاف أنّ ابن تيمية -رحمه الله- هو مُنشئ فكر التكفير في بلادنا، ووازن بين (نقده أو سقوطه)، وبين المحافظة على الوطن، ولم يعلم (أو لم يأبه) أنّ من أعظم مِنن الله على وطن الدّعوة إلى التّوحيد والسنّة، ومحاربة الشرك والبدعة أنْ خصّها بجمع، وطبع، ونشر فقه ابن تيمية، بل أسّسها عليه من أوّل يوم، ومنهم د. عوض القرني، ود. محسن العواجي اللذين سبقا (صحفيّاً وفضائيّاً) إلى اكتشاف أنّ علماء تجديد الدين والدّعوة على منهاج النبوّة أساس هذه البلاد، والدّولة المباركة هم أساس التّكفير والإرهاب العصري مستدلين برسائلهم في «الدّرر السنيّة»، وقد أُتي الثلاثة من جهلهم بشرع الله، وبالتالي عدم تفريقهم بين التكفير والإرهاب، والجهاد الشرعي بشروطه وضابطه الشرعيّة، وبين التكفير والإرهاب والجهاد العدواني الغادر الإجرامي:

الأول: عبادة، ودافعه ﴿ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ﴾ [التوبة: ٤٠].

والثاني: كبيرة، ودافعه الحقد والحسد والهوى، وإن ظنّ أصحابه أنهم مهتدون.

جـ- أرجو الله أن يهدينا جميعاً لنرى الحقّ حقّاً فنتبعه، وأن يرينا الباطل باطلاً فنتجنّبه، وأن يهدي الإخوة الكتّاب والواعظين للاستجابة لأمر الله -تعالى-: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٤٣]، وأن يتوبوا إلى الله بالاعتراف بالخطأ علانية بالدرجة التي أعلِن بها الخطأ، والعزم على تجنّب الوقوع فيه، وأن يتقي الله جَميعُ القائمين على وسائل الإعلام فيحذروا من أن يؤتى الإسلام والمسلمون من قِبَلهم، أو يُجعل الدين وسيلة للتسلية أو الرّواج.

وصلى الله وسلم وبارك على محمد عبد الله ورسوله، وعلى آله وصحبه، ومنتسبي سنّته، والدّاعين إليها، والذّابين عنها إلى يوم الدين.

❊ ❊ ❊ ❊

في العقيدة

# تعظيم قَدْر العقيدة الصحيحة

• بقلم: معالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ

كان النّاس قبل مبعث محمد ﷺ في جاهليّة جهلاء؛ يعيشون في ظلمات من الشرك والجهل، وتسيطر عليهم الخرافات، ويتطاحنون في نزاعات وصراعات قبليّة، يسبي بعضهم بعضاً، ويقتل بعضهم بعضاً، يعيشون في تخلّف وهمجيّة وفرقة، شعارهم:

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه
يُهدّم ومن لا يظلم الناس يُظلم

حتى إذا أذن الله لشمس الإسلام أن تشرق بعث محمداً ﷺ ليعلن للبشريّة أنه «لا إله إلا الله، ولا معبود بحق سواه»، لقد جاء بالتوحيد الذي هو حق الله على العبيد، والغاية العظمى من الخلق ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦].

به بُعث الرسل، وأُنزلت الكتب، ورُفع من أجله عِلَمُ الجهاد.

ثلاث عشرة سنة في مكة والنبي ﷺ يدعو إليه، ويغرس جذوره في أعماق النفوس، ويبني أُسُسه ودعائمه في سويداء القلوب، ويثبّت أركانه في الوجدان؛ حتى اتضحت سبيله للسالكين، وبانت معالمه للراغبين، فأظهر الله الحق وأزهق الباطل، وأضاءت القلوب أنوار التوحيد الخالص، فَجَلَتْه من أوضار الشرك، وصقلته من أدران التنديد.

لقد جاء النبي ﷺ والقلوب أرض جرداء فسقاها من نمير التوحيد، وأرواها من سلسبيل الإخلاص: فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، فعزت الأمّة بعد ذلتها، واجتمعت بعد فرقتها، وصارت غالبة بعد أن كانت مغلوبة.

وقد بقيت العقيدة على صفائها ونقائها وطهرها؛ حتى إذا قضى الله أمراً كان مفعولاً، ودخل في دين الله من لم يتشرّب قلبه التوحيد

الخالص، حدث في النّاس الخلل، وتفرّقت بهم السبل، وراجت المذاهب المنحرفة، والأفكار الهدّامة، وأطلّت الفتن برأسها، وفشت البدع ببؤسها، حتى إذا زاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، وابتُلي المؤمنون، وزلزلوا زلزالاً شديداً؛ قيّض الله من أئمة الهدى، وأعلام الدجى من يعيد الناس إلى مشكاة النبوّة وقلعة الإيمان، ويكشف لهم زيوف الباطل، ويدحض شبه المبطلين، ويردهم إلى منهج السَّلف الصَّالحين . . .

وإنّ المتبصّر في تاريخ الأمّة الإسلاميّة؛ ليرى أنّ عزتها وعلوها وغلبتها ودينونة الأمم لها مرتبطة بصفاء عقيدتها، وصدق توجهها إلى الله، واتباعها لأثر النبي ﷺ، وسيرها على منهج السلف الصالح، واجتماعها على أئمتها، وعدم منازعتهم في ذلك، وأنّ ضعفها وذلّها وانخذالها، وتسلّط الأمم عليها مرتبط بانتشار البدع والمحدثات في الدين، واتخاذ الأنداد والشركاء مع الله، وظهور الفرق الضالّة، ونزع يد الطاعة، والخروج على الأئمة.

وإنّ الانحرافات العقديّة، والحيدة عن منهج السّلف الصالح، والانخداع بزخرف قول أرباب المذاهب المنحرفة هو الذي فرّق الأمّة، وأضعف قوتها، وكسر شوكتها، والواقع شاهد على ذلك، ولا مخرج لها من ذلك إلا بالرجوع إلى ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وأئمة الهدى، فلن يصلح آخر هذه الأمّة إلا بما صلح به أولها، وإنّ النكوص عن جادة التوحيد، والرغبة عن منهج السّلف الصّالح، منافاة للعدل، ومجافاة للعقل.

قال -تعالى-: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ [الحديد:٢٥].

وإنّ أعظم القسط التوحيد، وهو رأس العدل وبه قوامه، وإنّ أظلم الظلم الشرك، قال -تعالى- حكاية عن لقمان في وصيته لابنه: ﴿ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان:١١-١٥].

وإنّ أعظم الفرية أن تُشرك بالله وقد خلقك.

وإذا كان الله -سبحانه وتعالى- قد أمر بالإصلاح، ونهى عن الفساد والإفساد، فقال -تعالى-: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ

ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف:٥٦]: فإنّ أعظم الإفساد أن تفسد عقائد الناس، وتصوراتهم، وأفكارهم، ويُقْطعَ عليهم الطريق في مسيرهم إلى الله، ويُحَادَ بهم عن الفطرة التي فطرهم الله عليها، ففي الحديث: «كلُّ مولود يولد على الفطرة، فأبواه يُهودانه، أو يُنصرانه، أو يُمجسانه»[1].

ويعضده قول النبي ﷺ: «ألا إنّ ربي أمرني أن أعلّمكم ما جهلتم، مما علمني يومي هذا: كل ما نحلْتُه عبداً حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرّمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أُنزل به سلطاناً . . .»[2].

ولا شك أنّ هذا أعظم الظلم وأشنعه، كيف لا وقد صار عاقبة ذلك خسرانَ الدُّنيا والآخرة؟!

وفي هذه الأزمنة المتأخرة التي حدثت فيها الغِيَر، وتزينت الدُّنيا لخُطّابها، كشف أهل الأهواء عن أقنعتهم، وانتشرت بدعُهم، وأُحييت مذاهب أسلافهم بعد أن كانت بائدة، ونُشِبتْ كتب لهم كانت منسية، وظهرت أفكار جديدة، وبرزت جماعات معاصرة متباينة في مقاصدها، مختلفة في توجهاتها، متناقضة في غاياتها ووسائلها، كلما خرجت جماعة أو فرقة لعنت أُختها، وتطاول أناسٌ على قامة التوحيد والسُّنّة، ولوَّثوا أفكار الناس، وأفسدوا عليهم عقائدهم، وهونوا عليهم أمر الشرك، ورفعوا أعلام الفتن، ونازعوا ذوي السلطان في سلطانهم، وشاقّوا الرسول من بعد ما تبيّن لهم الهُدى، واتبعوا غير سبيل المؤمنين.

مما يوجب على الغيورين من علماء الأمّة ودعاة السُّنّة المقتفين للأثر؛ القيامَ بواجب الإبانة عن أصول الدِّيانة، وتبيين معالم منهج السَّلف، وإيضاح سبيله، وتقريب كتب أئمة الهدى، وإبرازها بالتحقيق وشرح عبارات الأئمة، وبيان مقاصدهم، والعناية بأمر التوحيد والمنهج في دروسهم وخطبهم ومحاضراتهم ومؤلفاتهم، وإرشاد العباد إلى اتباع خطى النبي ﷺ ولزوم سنّته، والسَّير على أثر أصحابه؛ امتثالاً لقوله -تعالى-: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران:٣١].

وقول النبي ﷺ: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن كان عبداً حبشياً؛ فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً؛ فعليكم بسنتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين؛ تمسّكوا بها، وعَضُّوا عليها بالنّواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإنّ كلّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة»(١).

فهذا هو الصراط المستقيم الموصل إلى رضى ربّ العالمين، قال -تعالى-: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام:١٥٣].

وهو السبيل الذي دعا إليه رسوله محمد ﷺ، قال -تعالى-: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف:١٠٨].

وهو عقيدة الفرقة الناجية التي أخبر عنها النبي ﷺ بقوله: «لا تزال من أمتي أمّة قائمة بأمر الله، لا يضرّهم من خذلهم؛ حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك»(٢).

وهي التي بقيت على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه؛ ففي الحديث أنّه ﷺ قال: «. . . وإنّ بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملّة، وتفترق أمتي على ثلاثٍ وسبعين ملّة، كلهم في النار إلا ملّةً واحدةً»، قال -أي عبدالله بن عمرو راوي الحديث-: من هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي»(٣).

ومن هنا تأتي أهميّة العناية بهذا الأمر، وتربية الناشئة عليه، وتصحيح مسيرة الصحوة؛ حتى لا تتشعب بها السُبل، فتضل في متاهات الأهواء والفتن.

(١) رواه أبو داود.

(٢) رواه البخاري (٣٦٤١).

(٣) رواه الترمذي.

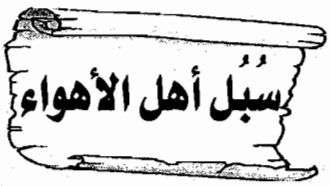

# فِقْهُ الوُصُولِ إلى (القِمَّة!) عندَ الخَوَارِجِ

• بقلم: الشيخ أبي عبدالرحمن هشام العارف

ابْتُلِيَ الخَوَارِجُ بشهوة الوصول إلى القمة، فرأوا في ولاة الأمر عائقاً أكيداً أمام تحقيق طموحاتهم التي من أجلها تحمست ـ على زعمهم ـ الهمة، فنصبوا لذلك سُلَّماً لتحقيق مآربهم من أجل هذا الوصول، مخالفين بذلك أحكام الشريعة الربانية وقواعد العلم والأصول، وأسس المعقول والمنقول، فما كان منهم إلا التّعلُّق ببعض المتشابه من نصوص القرآن يحتجون به للعوام على الولاة من خلال أفعال العصاة، ولسان حالهم يقول: ﴿ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴾ [الشعراء:٤٤].

ولما كان هذا الأسلوب للوصول إلى القمة بدعة في الدين ، وخطراً عظيماً على المسلمين الآمنين، تصدى له بالعلم اليقين العلماءُ -أهل البصيرة والإيمان-؛ بردِّ المتشابه من نصوص القرآن إلى المحكم من نصوص الوحي في السنة الصحيحة، وصريح القرآن.

فمن استمرَّ مع الخوارج بعد ظهور الحجة والبرهان، وقع في الفتنة والافتتان، وأضاف إلى ما تقدم من الذنوب ذنوباً نسأل الله لها الغفران.

ومن هذه الذنوب الكبائر: اتهام العلماء؛ الذين هم ورثة الأنبياء، بكلام شنيع ليس هو

من الأدب الرفيع، ولا هو إلى الحقّ شفيع، والكيد للناصح بكلام فاضح، والتفريق بين الناس بوسائل الوسواس الخناس.

زعم الخوارج أنهم على منهج السلف، وأنهم انتهوا من التصفية، فَلَمَّا جاءَ دور التزكية كان لسانُ حالهم يصرخ: وأين شهوة الوصول؟!!

والخوارج جهلاء، وأكثر الناس حملاً على العلماء ، وأبعد الناس حكمة في معالجة البدع والمعاصي والأمراض، ومنها أمراض النفوس، فكيف يتصور الواقع بعد وصولهم القمة مكان من يسوس، فليكن أول العلاج ـ نصيحة لهم ـ علاج حب الظهور، فحب الظهور يقصم الظهور.

لم يدرك الخوارج ـ هداهم الله ـ معنى قول الله ـ تعالى ـ في سورة المجادلة: ﴿..يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة:١١].

فرق كبير بين فقه الوصول إلى (القمة) عند الخوارج ، وما قاله الله ـ عز وجل ـ في هذه الآيات الكريمة؛ فالمعنى ظاهر لا يحتاج إلى مجادلة عقيمة، فإن فهم مسائل الإيمان يحتاج إلى العلم النافع، والعلم النافع مداره القرآن والسنة بفهم سلف الأمة، وشرطاه الإخلاص وحسن المتابعة للنبي ﷺ فهذا طريق خلاص الأمة إن أردنا كشف الغمة.

إن العلماء السائرين على منهج النبوة هم وحدهم لا غيرهم لهم النصيب الوافر من إصلاح الناس؛ لأن هَمَّهُمُ الأوّلَ إصلاح الراعي والرعية باتخاذ كافة الوسائل الشرعيّة، والناجعة السوية، ويتقربون إلى الله بالدعاء للراعي بالهداية والرشاد، فهذا أول مفاتيح علاج الداء.

فاسمع -يا هذا!!- ما أُثر عن أمير المؤمنين في الحديث -سفيان الثوري- فيما أخرجه عنه الحافظ أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٧٩) ففيه الدواء:

«لا يأمر السلطان بالمعروف إلا رجل عالم بما يأمر، عالم بما ينهى، رفيق فيما يأمر، رفيق فيما ينهى، عدل فيما يأمر، عدل فيما ينهى».

❋ ❋ ❋

تهذيب النفوس

# أدب النفس

• بقلم: العلامة الشيخ جمال الدين القاسمي

كلّ من أعار الوجود نظرة البصير؛ عَلِمَ أنّ حاجة المرء إلى تأديب نفسه لا تفوقها حاجة؛ لأنّ الإنسان إلى الشر أميل منه إلى الخير، وإلى الشهوات النفسيّة منه إلى الكمالات الروحيّة، فكان من المحتم العناية بتهذيب خلقه، وتحليته بالمحاسن والفضائل، وتطهير نفسه من المساوئ والرذائل، فيصبح محمود الأقوال والأفعال، مثالاً للفضيلة والكمال.

وهاك شذرة مما يلزمُك أن تتخلق به من آداب نفسك:

عامل الناس بما تحبّ أن يعاملوك به، لا تستهن بفاضل شريف، لا تميلنّ إلى سخيف، لا تقولن هجراً لئلا يسقط قدرك، لا تفعلن نكراً لئلا يقبح ذكرك؛ إياك وفضول الكلام فإنه يظهر من عيوبك ما بطن، ويحرك من عدوك ما سكن، فكلام الإنسان بيان فضله، وترجمان عقله، فاقصر على الجميل، واقتصر منه على القليل، وإياك وما يستقبح من الكلام، فإنه ينفر عنك الكرام، ويوثب عليك اللئام.

إياك واللجاج فإنه يوغر القلوب، وينتج الحروب، فاقتصر من الكلام على ما يثبت

حجتك، ويبلغك حاجتك، ومن قال بلا احترام أجيب بلا احتشام، لا تعوّد نفسك إلا ما تحظى بأجره، وتحمد على ذكره، وإياك ومحاجة من يملك قهره، وينفذ فيك أمره.

يستدل على رزانة الرجل بقلّة نطقه ومقاله، وعلى فضله بفضل علمه واحتماله، فأكرم إخوانك، وأكثر خلانك، واكفهم لسانك، فطعن اللسان أنفذ من طعن السنان.

تعامَ عمّا تسوؤك رؤيته، وتغابَ عمّا تضرك معرفته، ولا تُشِرْ على ما لا يقبل منك، ولا تجب عمّا لا تسأل عنه، وإذا عاتبت فاسْتَبْقِ، وإذا صنعت معروفاً فاستره، وإذا صُنع إليك فانشره، وإذا أذنبت فاعتذر، وإذا أُذنب إليك فاغتفر، فالمعذرة بيان العقل، والمغفرة بيان الفضل، ولا تزهد في رجل عرف فضله، وجرب عقله، ولا تعن قوياً على ضعيف، ولا تؤثر دنيا على شريف، ولا تشر بما يعقب الوزر والإثم، ولا تفعل ما يقبّح الذكر والاسم.

كرّم نفسك وعرضك من مضاحكة المُجّان والمساخرِ، ولا يبالي بما يقابل من ضروب الاستخفافات التي تلحقه، فهو من شرار الناس، واحفظ لسانك من المزاح والسخرية والاستهزاء بالناس؛ فإنّ ذلك يُريق ماء الوجه، ويسقط المهابة، ويستجر من الوحشة، ويؤذي القلوب، وهو مبدأ اللجاج والغضب والتقاطع، ويثير الحقد في القلوب، القَ صديقك وعدوك بوجه الرضا من غير مذلة ولا هيبة منهما، وتوقر من غير كبر، وتواضع من غير مذلّة، ليكن ضالة عقلك التي ينشرها، ونجعته التي يرتادها: الحق، فاحكم به ولو على نفسك، ولا تكن ممن تأخذه العزّة بالإثم، فلا يصغي إلى الحق لكونه صدر عمن هو أدنى على ما يعتقد، بل العاقل يأخذ الحكمة حيث وجدت، وليس في الحق صغير ولا كبير، ولا تحابِ صديقك في الحق؛ بل الحقّ أجدرُ بالصداقة منه.

اجتهد في محو الخرافات، والأوهام، والتصورات الباطلة، فإنها تفسد الملكات، وتدلّ على الجهل بحقائق الأمور، واطرح المبالاة بكل الناس لما تتوخاه من الحق، فإنّ السلامة من طعن الناس غاية لا تدرك، ومن

راضَ نفسه على السكون إلى الحق، وتبين أنّ ألمه في أول صدقه كان اغتباطه بذم الناس إياه أشد من اغتباطه بمدحهم له، ومن لا عدو له لا خير فيه، ولا منزلة أسقط ممن لا عدو لـه؛ لأنها منزلة من ليس لله -تعالى- عنده نعمة يُحسد عليها، عافانا الله.

لا تقبل سلطة فكرة إلا بعد فحص دقيق، فإنّ كلّ ما أُبطل ببرهان ضروري فليس بحق، وكلّ ما ثبت ببرهان فمعارضته شغب فاجتنبها، وليكن مرجعك إلى الحق، وفزعك إلى الصدق، فمن أضعفَ الحقَّ وخذله أضعفه الباطلُ.

عليك بالنشاط في العمل، وترك البطالة والكسل، ولا تكن كَلاً على غيرك، فإنّ الرجل كل الرجل من يأكل من كسبه، ويشرب من وِرْده.

أقدمْ على جلائل الأعمال مع الصبر والثبات، واحمل نفسك على معالي الأمور، والتشبث بأحسن الأعمال والأمور العظام والتهاون لنيلها بالآلام، فإنّ الكسل من النقائص التي توجب الخسائس والشرور، وتدلّ على ضعف في إدراك صاحبها وحطة في نفسه، ومن رضي بالدون التحف بالخمول، وفاتته معالي الأمور، وَآذَنَ لصبر نفسه، وقصد همته، وضعف غريزته، وقد قيل: «إذا رقدت النفس في فراش الكسل، استغرقت في بحر الحرمان».

لا ترغب في سرعة العمل وارغب في إتقانه، ولا تؤخرنّ عملاً عن وقته، فإنّ الوقت الذي تؤخره له عمل، ولست تطيق ازدحام الأعمال؛ فإنها إذا ازدحمت دخلها الخلل، ولتكن أوقاتك عندك كلها ربيعاً، فالوقت من أسمى مواهب الخالق التي لا يمكن استعادتها متى فاتت؛ فلا تتصرف فيه بما يؤسفك على فواته.

من هُم أقلّ منك معرفة وأدنى درجة فينبغي أن لا تكثر معهم اللجاجة، ولا تخالطهم إلا بقدر الحاجة، احذر من صحبة الفارغ فإنه يفتك بوقتك ولا فتك الوباء، فالمخالطة تؤثر، والطبع سراق، فاصحب الأخيار، وما وراء كثير من العفو إلا إضاعة

الوقت سدى، وقطع مراحل الحياة على غير هدى.

الوقت الذي تمضيه في أداء الواجبات الاجتماعية ليس بوقت ضائع؛ لأنّ حبّ الغير، ومعاونته، والعمل على نشر العلم، وتقليل وطأة الفاقة كلها من دلائل السعادة.

احرص على سعادة غيرك، فإنّ اجتهادك في إسعاد غيرك إسعاد لنفسك، وقصر جهدك على إسعادك لنفسك إشقاء لها؛ لأنه إذا سعى كلٌّ لنفع غيره توفر النفع للجميع، وإذا سعى كلٌّ لمجرد نفع نفسه أضرّ بغيره، فتوفر الضرر للجميع.

عليك بترتيب أعمالك وأوقاتك، فإنّ الترتيب فضيلة تحمل صاحبها على الاهتمام والعمل بما وثبه لنفسه، وهي تنشط النفوس وتريح البال، ويكون صاحبها مستجمعاً لفكرته، محافظاً على وقته.

عليك أن تنام باكراً وتستيقظ في وقت السحَر فتؤدي العبادة المفروضة، وتأخذ في التهيؤ للدرس بالمطالعة والحفظ، ولا تشتغل بالمباحث التي لا شيء فيها إلا الحيرة، واعتمد بفحص كل الأمور صغيرها وكبيرها، لا تفرح إلا بما تأتيه من جليل الأعمال، فإنّ النفس إذا كبرت استشعرت الخلود، فعملت من الجميل ما يبقي على الأزمنة المتطاولة، وإذا نقص لم تحفل بما سيقبل من الأزمنة، ولا بجُميل من الفعل، فآثرت عاجل الانتفاع على آجل الذكر.

صُنْ الحكمة عن بثها لمن لا يدريها، وصُنْ درر المعاني عن ابتذالها؛ فإنّ ما تألفه ألسنة الغوغاء يذهب منه رونقه.

الْقَ عدوك وصديقك بوجه طلق، وأعط كل ذي منصب حقه من التعظيم، ولا تعظم جاهلاً؛ فإنّ تعظيم الجاهل تقوية له على الجهل، ولا تحضر مجلساً يُبخس فيه حقّ الكريم، ويكرم اللئيم، ولا ترضَ بأن تُنزل منزلة لست بها بأهل، فإنه ليس شيء أضرّ على الدين والدنيا من تصدّر غير الأهل في مكان الأهل.

ليكن مجلسك هادئاً، وحديثك موزوناً مرتباً، وإذا جلست فلا تستوفز، وتحفّظ من تشبيك أصابعك وفرقعتها والعبث بشاربيك

ولحيتك وخاتمك، وتخليل أسنانك، وإدخال إصبعك في أنفك، وكثرة لعابك، وتنحنحك، والتمطي، والتثاؤب في وجوه الناس في الصلاة وغيرها.

أصغِ إلى الكلام الحق ممن حدثك من غير إظهار تعجب مفرط، ولا تسأله إعادته، واسكت عن المضاحك والحكايات، لا تحدِث عن إعجابك بولدك، وشعرك، وكلامك، وتصنيفك، وسائر ما يخصك، إذا خاصمت فتوقّر وتحفّظ من جهلك، وتفكر في جهتك.

لتكن سهل اللقاء والبشاشة ولو في حال المرض، وبادر بالتحية والبشر من تلقاه، واكتم بؤسك، واجعل شكواك لمن يقدر على غناك، ولا تحضر منازعة؛ فإنك لا تخلو من قسط من أذاها، ولو بالمطالبة بأداء الشهادة.

إياك والانبساط فإنه عورة من عوراتك، فلا تبذله إلا لمأمون عليه حقيق به، لا تتصنع تصنع المرأة في التزين، ولا تتبذل تبذل العبد، ولا تلح في الحاجات، ولا تشجع أحداً على ظلم، لا تُعْلِم أحداً من أهلك وولدك فضلاً عن غيرهم مقدار مالك، فإنهم إن رأوه قليلاً هنت عليهم، وإن رأوه كثيراً لم تبلغ رضاهم قط، واجفهم من غير عنف، ولِنْ لهم من غير ضعف، ليكن لك فضل عزلة، فإنّ كثرة الخلطة مجلبة الابتذال.

أصغ لمن ينتقد عليك، واهجر لمن يطريك بما ليس فيك، فإنّ من أظهر عيبك أراد تهذيبك، ومن عرّفك نقصك أرشدك للفضيلة، ولا تغتر بمن يطريك ولّما تبلغ الكمال، إذا يئست من التغلب على مناوئك فاسلك معه سبيل المحاسنة دفعاً للشر بالمحاسنة، فليس من الحزم أن تصارع القوي وأنت ضعيف، وتكافح المُسَلّحَ وأنت أعزل، وتعاكس مجرى الظروف، وطبيعتها ما ترى . . [والسلام].

# فقه الواقع
# وجهة نظر أصوليّة

• بقلم: الشيخ أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

كثر الكلام -قديماً وحديثاً- على فقه الواقع، وقلّ من ربطه -بعدل- بموضعه اللازم أن يتنزّل فيه، وهو (تحقيق المناط) في مسائل العلّة من مبحث (القياس) في كتب أصول الفقه.

وهذه سطور مختزلة -لا يسمح المقام إلا بها- لتبيين مدى صلة (فقه الواقع) بعلم أصول الفقه، مع محاولة التذليل والتسهيل، قدر المكنة والطاقة، والله المستعان، وعليه التكلان:

مرادنا بـ (تحقيق المناط) هو فحص وجود العلّة في الفرع، سواء أكانت منصوصة أم مستنبطة، فمثلاً يقول ربنا:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ ﴾ [البقرة:٢٢٢]، فالعلّة في حرمة مجامعة الرجل لزوجته وهي حائض، هو الأذى المذكور في الآية، فهذه العلّة المذكورة في الآية تلحق بإتيان المرأة بالدُّبر؛ لأنّ الأذى في مكان الحرث عارض، وهو الحيض، بينما الأذى في الدبر دائم، ولذا ذكر بعض أهل العلم

في مصنفات خاصّة في تحريم إتيان المرأة في الدبر أنّ من الأدلّة على حرمة ذلك قول الله -تعالى-: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ . . . ﴾ [البقرة:٢٢٢] فإن كانت الحرمة للأذى العارض؛ فالحرمة -من باب أولى- في الأذى الدائم.

قال القرطبي في «تفسيره» (٣/ ٩٤): «وقد حرّم الله -تعالى- الفرج حال الحيض؛ لأجل النجاسة العارضة، فأولى أن يحرم الدبر، لأجل النجاسة اللازمة، ويمثل الأصوليون عليه بالنبّاش، فقد تحقق فيه من وجود العلّة، وهي أخذ المال خفية فيقطع، على خلاف بين الفقهاء في ذلك.

ومثاله: سهم المؤلفة قلوبهم في الزكاة، فإنّ مناط الحكم في إعطاء السهم هو: استجلاب المسلمين لقلوبهم، فكلما تحقق هذا المناط تحقق المتعلّق به، وهو إعطاؤهم السهم في الزكاة، وكلما فُقِد هذا المناط؛ فلا يعطون هذا السهم، فمتى وجد المسلمون أنهم ليسوا بحاجة إلى التودد واستجلاب قلوبهم، لقوتهم، ومكنتهم، ومنعتهم، منعوه عنهم، وهذا هو فعل عمر بن الخطاب -رضي الله عنه.-

وأقترح -بهذه المناسبة- على المسؤولين الغيورين إنشاء جائزة عالميّة لاستمالة قلوب المفكرين من الغربيين في ديار الكفر ممّن يدافع عن الإسلام، ويجلّي حقائقه على وفق ما نزل في الوحي، بالثوب الزاهي القشيب، لما يترتب على ذلك من فائدة، أو تمييل الجهود العالميّة لنصرة الإسلام، والله الموفق والمؤيد.

وتحقيق مناط المسائل لا بدّ أن يكون بعدل، بحيث ينزع من نصوص الشرع -وهي حق- ما يناسبها ويخصُّها، ويراعى فيها جميع الأوصاف، والقيود، والشروط، والمستجدات، وحينئذٍ يحصل الخير.

ولو وقع خلاف في (تحقيق المناط) بين المجتهدين -وقواعدهم متفقة، وأصولهم واحدة-، فلا يقال في مثل هذا النوع من الخلاف (ضلال) و (هدى)، و(سنة) و(بدعة)، وإنما يقال:

ظلم وعدوان، بحيث لو تطابق (التحقيق) لاتفقت الأحكام، وهذا له فروع

كثيرة، ولا سيما تلك التي تخص الأعيان من الحكام، أو أهل البدع والقُصّاص -جمع قاص-، وتأصيل المشروع من (القصص)، وبيان الممنوع منه مع (تحقيق مناط)، وعليه فإن القضاصين اليوم بحاجة إلى دراسة جادّة.

وممن أبرز صلة (فقه الواقع) بـ (تحقيق المناط) عند الأصوليين جمع، أخصّ منهم اثنين؛ لوضوح كلامهما وتركيزه في هذا الباب:

**الأول**: الإمام الشاطبي، فله كلام في (تحقيق المناط العام) الذي هو تطبيق الأحكام الثابتة بأدلتها الشرعيّة من الكتاب أو السنّة، أو غيرهما من الأدلّة على الوقائع من النوازل، وعبارته في «الموافقات» (٢/ ١٢ - بتحقيقي):

«أن يثبت الحكم بمدركه الشرعي، ولكن يبقى النظر في تعيين محله».

وقوله فيه -أيضاً- (٥/ ٢٤-٢٥): «وأمّا تحقيق المناط الخاص: فهو نظر في كل مكلف -بالنسبة إلى ما وقع من للدلائل التكليفيّة-، بحيث يتعرف منه مداخل الشيطان، ومداخل الهوى، والحظوظ العاجلة».

والآخر: الإمام ابن القيّم، فإنه ركز في كتابه العظيم: «إعلام الموقعين» (٢/ ١٦٥-بتحقيقي) على ضرورة معرفة المفتي لفقه الواقع، فقال:

«ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم:

أحدهما: فقه الواقع، والفقه فيه، واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن، والأمارات، والعلامات، حتى يحيط به علماً.

والنوع الثاني: فهم الواجب في الواقع، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ في هذا الواقع، ثم يطبق أحدهما على الآخر، فمن بذل جهده، واستفرغ وسعه في ذلك لم يعدم أجرين أو أجراً».

قال: «فالعالم من يتوصل بمعرفة الواقع، والتفقه فيه إلى معرفة حكم الله ورسوله . . . » ثم قال بعد كلام في (٢/ ١٦٦) : «ومن تأمل الشريعة، وقضايا الصحابة وجدها طافحة بهذا، ومن سلك

غير هذا أضاع على الناس حقوقهم، ونسبه إلى الشريعة التي بعث الله بها رسوله! ».

قلت: صدق -رحمه الله- لو اطلع على هذا المتنازعون في هذه المسألة التي وقع بسببها (التهاجر) و (التصارم)، وسوء (الظن) بالعلماء، وكثرة القيل والقال؛ لأراحوا واستراحوا، وجمعوا (الحق) إلى (العدل)، فاكتمل الخير، وظهرت ثمرته وبركته على طلبة العلم، والله الواقي والهادي.

والعجيب أن يتكلم في (فقه الواقع) من لا يحسن موقعه في الشرع، ولا يدرك خطورة الولوغ فيه، وأنّ اللازم قبل الخوض فيه التسلح بالمعرفة الواسعة في النازلة المتكلم فيها، وإتقان التخريج، وتحصيل الملكة والدربة، ويكون صانع ذلك (فقيه نفس)!

ومعرفة (فقه الواقع) يلزم (المفتي)، بالدرجة الأولى، والقاضي، بالدرجة الثانية، ولا يلزم ذلك كل مجتهد وفقيه، وفصّل ذلك بعض الأصوليين بقوله بعد كلام:

«إذن هناك في أصول الفقه علاقة بالواقع، ومن أجل ذلك تكلموا عن الأحكام الشرعية على مستوى الفقه، وعلى مستوى الفتوى، وعلى مستوى القضاء، أما الذي على مستوى الفقه فهو معرفة الحكم الشرعي، والواقع المطبق فيه من غير تأثير فيه، ومن هنا فالقاضي لا بد أن يعرف حكم الله، والواقع الذي أمامه، وهو قادر على أن يغير فيه، أما الفقيه فيعرف حكم الله فقط، ولكن المفتي يعرف حكم الله ويعرف الواقع الذي سيطبق فيه، دون أن يكون له إلزام في التغيير.

لتوضيح ذلك أضرب مثلاً بما حدث أيام الليث بن سعد في قضية قبرص، وهل خلع أهلها الذمة أم لا؟

ولقد أفتى في هذه القضية سبعة من المجتهدين العظام، واختلفت فتاويهم، بناء على تقويم الواقع، فالواقع هو الظاهرة الاجتماعية . . ومن هنا تساءلوا: أهل قبرص على أية صفة هم؟ هل هم متمردون؟ هل هم مظلومون؟ هل الواقعة التي حدثت لا أصل لها، وأن ما نُسب إليهم من أقوال لم تحدث أصلاً؟

كل فقيه تكلم عن المسألة بما قد وصل إليه علمه بالواقع، ولو تأملت في الفتاوى، ستجد أنها لم تختلف من ناحية إدراك حكم الله، ولكنها اختلفت في إيقاع تلك الأحكام على الواقع، فالكل يقول: إن من تمرد من أهل العهد والذمة، بيننا وبينهم نقضت ذمتهم، لكن هل هم -فعلاً- نقضوا الذمة؟ وهل عن قصد؟

أم كانوا محتاجين لمساعدتنا، ونحن الذين قصرنا في حمايتهم؟ أو لأنه لم يصدر عنهم مثل هذا؟ إلى آخره.

هنا سيتبين لنا أن دراسة الظاهرة السياسية -مثلاً- يحتاجها ذلك الفقيه لتتم الفتوى على وجهها، وهذا احتياج مسائل وليس احتياج مناهج، إذن نستطيع أن نقول: إنه يمكن أن تكون هناك صلة بين منهج أصول الفقه، ومنهج العلوم الاجتماعية، وبين أصول الفقه، ومسائل العلوم الاجتماعية، وأيضاً سنتوسع ونقول: بين مسائل العلوم الشرعية الأخرى، وسائر العلوم الاجتماعية، وهذا ليس موضوعنا، ولكن نحن هنا في هذا المقال (الفتوى والفقه والقضاء . . وأهل قبرص) أدركنا علاقة بين الفتوى التي تحتاج إلى معرفة الواقع، الذي يحتاج في دراسته إلى أصحابه ليصفوه، والذي نسميهم بأصحاب العلوم الاجتماعية والإنسانية.

والحقيقة أن اختلاف الواقع أحد عوامل اختلاف الفتوى، وليس أحد أسباب اختلاف الفقهاء» انتهى كلام صاحب كتاب «علم أصول الفقه وعلاقته بالفلسفة الإسلامية» (ص٣٤-٣٥).

قال أبو عبيدة: ومِن الأمثلة المهمة التي وقع فيها غلط، ولغط، وخلط، وشطط:

النقود والأموال التي بين أيدي الناس الآن، هل يجري فيها الربا أم لا؟

وهل تجب فيها الزكاة أم لا؟

وهذا ما سنوضحه في الحلقة الثانية، تمثيلاً على ضرورة (تحقيق المناط) بالعدل، وأخذ ما يخصه من الشرع بحق، وتنزيله وإسقاطه عليه، ليظهر الخير، وتعم البركة.

والله الموفق ، لا رب سواه.

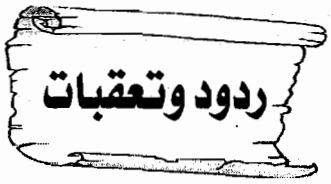

# ... في القراءة والقُرّاء

• بقلم: أبي الحسين مالك بن حسين بن شعبان

هـذه وريقـات أكتبهـا في بيـان بعـض الملاحظات على ما كتبـه الأخ الشـيخ زيـدان محمود سلامة العقرباوي في كتابه: «أسـاليب التعلـيم عنـد القـراء والمقـرئين»، وهـذه الملاحظات والمآخذ داخلة فـيما ذكـره بعـض أهل العلم من الأقسام التي يؤلّفُ فيها وهـي سبعة؛ منها: «. . . أو شيء أخطأ فيـه مصـنّفه يُبيِّنه. . . »[1].

وكـذلك قـال الشـيخ زيـدان في مقدمتـه: «وأشكر –مقدماً– أخاً كريماً اطّلع عـلى عيـبٍ فهـداني إليـه، أو عـلى نقـص فأصـلحه، والله وحده بفضله يحفظنا من الزلل الذي لا يسـلم منه أحد من البشر. . .»[2].

وأمّا الهدف من تأليف الشيخ زيـدان هـذا الكتاب فهو ما ذكره في موضـعين مـن كتابـه؛ من ذلك قوله: «فقد حداني ما رأيته من إهمـال قرّاء عصرنا، ومقرئـي دهرنـا تجويـد الـتلاوة، وتحقيق القراءة، وأساليب التدرج في الدراسة، ووصف كيفيّة التعليم عند الصحابة، والسُّـبل التي تلقّاها الخلـف عـن السّـلف: أن ألزمـت نـفسي رسـم كُتيّـب خفيـف المحمـل، سـهل المأخذ. . . »[3].

(١) انظـر «أسـاليب التعلـيم عنـد القـراء والمقرئين» (ص٣).

(٢) «المصدر السابق» (ص٤).

(٣) «المصدر السابق» (ص٤).

وقوله: « . . . ومُرادي من هذا نصيحة لأهل القرآن؛ لئلا يبطُل سعيهم، إذا هم طلبوا به شرف الدنيا حرموا شرف الآخرة، إذ يتلون لأهل الدنيا طمعاً في دنياهم».

قال الشاعر:

وما هذه الأخلاق إلا مظاهر

تترجم عمّا قد تكنُّ السرائر[1]

وللهدف والقصد الذي من أجله كتب الشيخ زيدان كتابه -نفسِهِ-، أكتب هذه الوريقات، التي أرجو أن تجد مكانها في نفس الشيخ -سدّده الله-.

فأقول -مستعيناً بالله-: أصَّل الشيخ زيدان في كتابه تأصيلات عظيمة، وقواعد جليلة؛ ولكنّه -سّدده الله- قد نقض بعضها، وذكر ما يُخالف عدداً منها فيما ذكره في كتابه؛ من تعلُّم النّغمات والإيقاعات والمقامات!

فأذكر **أولاً** هذه التأصيلات، ثم أُتبِعها ببعض الملاحظات والمآخذ[2]:

١- قال عن القرآن (ص١١): «فجعلته عصمة فاعصمنا به من كلِّ بدعة وشبهة»[3].

٢- وقال (ص١٣): «والحاصل أن تحرير رسوم الحروف والكلمات، ومخارج الحروف والصفات، وترتيب السور والآيات، والقراءات المتواترة، أنّ جبريل -عليه السلام- قد أخبر النبي -عليه الصلاة والسلام- كلّ واحدة من هذه الأحكام»[4].

٣- ثم قال: «لكن لمّا طالت سلسلة الأداء، تخللتها أشياء من التحريفات في أداء أكثر شيوخ الأداء، خاصّة في زماننا الحاضر، والشيخ

---

(١) «المصدر السابق» (ص٨٤).

(٢) علماً بأنني لو أردت تتبُّع جميع ما كتب الشيخ لطال المقام، ولكنني ضربت صفحاً فلم عن التنبيه على كثير منها؛ مثل: كثرة استشهاده بالأحاديث الضعيفة، وبعض الموضوعة، وكذلك كثرة النقول التي ينقلها ولكن من غير عزو!!! وغير ذلك من الأمور التي هي في حقيقتها خللٌ في منهجيّة البحث العلمي -والله المستعان-.

(٣) وما هذا الذي يدعو إليه الشيخ زيدان من تعلُّم النغمات والإيقاعات والمقامات إلا من هذه البدع التي يتعوّذ منها، كما سيأتي!!

(٤) فهل كان ممّا أخبر به جبريل -عليه السلام- نبيّنا محمد ﷺ هذه النغمات والإيقاعات والمقامات؟!!

الجامع بين الرواية والدراية، والمتفطن لدقائق الخلل في المخارج والصفات أعزّ من الكبريت الأحمر، فوجب علينا -والحال على ما أسلفت- أن لا نعتمد على شيوخنا كلَّ الاعتماد.

بل نتأمل فيما أودعه العلماء في كتبهم من بيان مسائل هذا الفن، واختلاف مدارسهم ومشاربهم، ونقيس ما سمعناه من الشيوخ على ما أودع في هذه الكتب -كذا ذكر ساجقلي في «البيان»-[1].

٤- وقال (ص١٤): «نعم إن أكثر علماء زماننا يشتغلون بعلوم دنيويّة وعلوم غير نافعة، ويتركون الأهمّ والألزم، كالذين يهتمون بالحياة الماديّة، والاشتغال بالعلوم الآليّة مدّة حياتهم»[2].

٥- وقال (ص٤٤): «. . . بحيث يكون القرآن والعقيدة أساس الدراسة، وعلوم وألوان المعارف الأخرى مساعدة، . . .».

٦- وقال (ص٤١): «وهذا يؤكّد أنّ دعامة قراءة القرآن هي التلقي والرواية، فالقراءات سنّة متّبعة نقلت بالرواية والمشافهة من فيّ رسول الله ﷺ، والكلّ متّبع لا مبتدع»[3].

---

(١) هذا الكلام ليس على إطلاقه، فالأصل هو التلقي من أفواه المشايخ، وإن كان هناك مئات من هؤلاء ليسوا متقنين؛ فلا يحملنا ذلك على تعميم الكلام على الجميع.

(٢) وهذا الكلام ينطبق على فعل الشيخ زيدان؛ فإغراقه في مسألة النغمات والإيقاعات -لو سلّمنا بجوازها- لا تعدو أن تكون من علوم الآلة . . . فتأمل!!!

(٣) قل لي -بالله عليك- يا -شيخ زيدان-: هل أنت متّبع فيما تدعو إليه من تعليم هذه النغمات والإيقاعات والمقامات أم أنت مبتدع؟!

بمعنى: ذكرت -يا شيخ زيدان- في أول كتابك (ص٥-٧) السّند الذي تلقّيت بواسطته القرآن الكريم عن مشايخك -وهم مشايخنا-، فهل أخذت هذا الذي تدعو إليه عن واحد منهم؟! أم هل كان أحدٌ منهم يُعلّم الناس هذه -النغمات، والإيقاعات، والمقامات-، أو يدعو إليها، ويُنْشِئُ لها الدورات؟! أم هل كان يُلزم القارئ بأن يقرأ بهذه -النغمات والإيقاعات والمقامات-، وكانت شرطاً في الحصول على السّند؟!

إذا أجبت عن هذه الأسئلة يا شيخ زيدان فستعرف ما إذا كنت مُتّبعاً أم مبتدعاً فيما تدعو إليه . . .!!

٧- وقال (ص٤٣): «فقد كانت همم الرجال تتفاوت من حين إلى حين، وعندما فترت الهمم، وكثرت البدع، والملل والنحل».

٨- وقال (ص٥٤): «فالكلام الشريف يحتاج إلى اللفظ الشريف، والأداء الشريف».

٩- وقال (ص٦٨): «فإنّ حقّ المعنى الشريف اللفظ الشريف، والأداء الشريف».

١٠- وقال (ص٦٣): «فالكلام إذا خرج من القلب دخل القلب، وإذا خرج من اللسان لم يُجاوز الآذان»[1].

١١- وقال (ص٥٥-٥٦) ناقلاً كلام ابن الجزري: «وهذه سنّة الله -تبارك وتعالى- فيمن يقرأ القرآن مُجوِّداً مُصحِّحاً كما أنزل، تَلْتذُّ الأسماع بتلاوته، وتَخشع القلوب عند قراءته، حتى يكاد أن يَسْلب العقول ويأخذ بالألباب، سرٌّ من أسرار الله -تعالى- يودعه من يشاء من خلقه، ولقد أدركنا من شيوخنا من لم يكن له حُسْنُ صَوْت ولا معرفة بالألحان، إلا أنه كان جيّد الأداء، قيّماً باللفظ، فكان إذا قرأ أطرب المسامع، وأخذ من القلوب بالمجامع، وكان الخلْق يَزدحمون عليه، ويجتمعون على الاستماع إليه، أُمَمٌ من الخواص والعوام، يشترك في ذلك من يعرف العربي ومن لا يعرفه من سائر الأنام، مع تركهم جماعات من ذوات الأصوات الحسان، عارفين بالمقامات والألحان؛ لخروجهم عن التجويد والإتقان . . . »[2].

١٢- وقال (ص٦٩) عن القرّاء الذين خالفوا النهج القويم في القراءة: « . . . ولم يُؤتوا إلا أصواتاً خلت من التأثير، تخرج من حناجرهم فلا تجاوز الآذان، ليسوا مجودين ولا مرتلين، إنّما هم مغنّون متكلّفون متكسّبون، وهذا وصف أكثر من يقرأ في

---

(١) ولا أظنُّ -ولا أي عاقل يظنّ- في أنّ الذي يقرأ بالنّغمات والإيقاعات والمقامات أنّ قراءته تخرج من القلب!! لأنه لا همَّ له إلا المحافظة على نغماته، وإيقاعاته، ومقاماته، ويصرف همّه من أجل إقامتها، فلا تدبُّر، ولا تفكّر في المعنى.

(٢) أقول يا شيخ زيدان: تأمّل هذا الكلام الذي نقلته أنت عن إمام القرّاء والمقرئين، ففيه أوضح دلالة، وأعظم برهان على بطلان ما تدعو إليه، وردٌّ على ما تؤصّل في كتابك هذا . . .!!

الإذاعات من أهل الألحان، والأنغام، والموسيقى في هذه الأيام، وما أكثر ما يأتون بالنكر من الألحان الذي تنزه عنه القرآن، ويُعانون في سبيل ذلك ما يُعانون من جهد ومشقّة، والله لو رأيت أحدهم وقد برزت عروق رقبته الغليظة، وجحظت حدقتاه واحمرتا، وكادت عيناه تقفزان، وهو يرفع عقيرته لأقسمت بالله ثلاثين أنه ليس مجوداً».

١٣- وقال (ص٧٥): «ولا يقرأ القرآن على هيئة المقامات الغنائيّة، ولا يلجأ في قراءته إلى استيعاب ما في كلّ مقام من تفرعات؛ لأنّ تفرعات الأنغام في المقام لها طبيعة ودوافع لا يُعرف مثلها في تلاوة القرآن، فللقرآن أدبه وحشمته، وله من أدوات التعبير ما لا يتحقق في اللجوء إلى الأناشيد والموسيقى، فللشعر أسلوبه، وللغناء أسلوبه، وللقرآن أسلوبه، فقراءة القرآن لها مقاييس دقيقة»[1].

١٤- ثم قال: «فلا يجوز لقارئ أن يمُدَّ أكثر مما قرّر له، ولا أقلَّ من ذلك، وكذلك القول في الغنّ، وميزان الحروف -كما أسلفنا- وهناك مصطلحات فنّ التجويد، والالتزام بالأحكام.

وللشعراء أن يتخطوا الحدود في مدّ ما هو من فصيلته، ولو التزم بميزان لضاق عليه، وينسحب هذا على مسائل عدّة، فيختلف فيها الغناء عن القراءة، وقارئ القرآن إذا أراد أن يُحاكي قارئ المقام، وجب عليه أن يُفرِّط بقواعد التجويد، وفي هذا التفريط -إن وقع- لحن وخطأ عن القراءة، وإن ظلّ ملتزماً

---

(١) وهذا الكلام نقله الشيخ زيدان من كتاب «قواعد التجويد والإلقاء الصوتي» لجلال الدين الحنفي كما ذكر ذلك، وإنني -والله الذي لا إله إلا هو- لأتعجّب أشد العجب من الشيخ زيدان الذي وقف على هذا الكلام، ومن قبله نقل كلام ابن الجزري -كما ذكرته في الفقرة رقم (١١)، وما ذكره مؤيداً في الفقرات التالية رقم: (١٤،١٥)، ومن قبله الفقرة رقم (١٢)، ثم نراه من المؤيدين لمسألة تعليم المقامات الغنائيّة والمدافعين عنها بقوّة، وكذلك مما يدعو إلى العجب أنّ الشيخ زيدان ذكر في كتابه: «المرشد في علم التجويد» المنع من قراءة القرآن بالمقامات الغنائيّة في ثلاثة مواضيع في الصفحات التالية من الطبعة الثالثة: (١٤-١٥، ٣٨-٣٩، ٣٠١-٣٠٣)، ثم بعد ذلك نراه كالتي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً، ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

بقواعد التجويد والأحكام، دون أن يُتابع قارئ المقام حذو القذّة بالقذّة، فإنه لا يكون قرأ بالمقام، ولا التزم به، والمقرئون يعرفون هذا، وإن وُجد فيهم من حاول الالتزام بالمقام، فلا بدّ أن يقع في اللحن، لذلك يجب التمييز بين الأنغام في مادة التلاوة، فالتلاوة قراءة وتلاوة، وللنشيد والمقام وضع آخر، وإن جمع بينهما مصطلح النغمة والتنغيم، وللقرآن نغم خاص[1]، فالمدود والغنن من معالم التنغيم، وهي تصلح للتطبيق النغمي، والتموج الصوتي تلقائياً، غير أنّ المجودين كانوا أمناء على قواعد الأحكام؛ بسبب قدسيّة النص، والحرص على الالتزام بالتطبيق الأدائي بكلّ دقّة، وكانت هذه القواعد تؤخذ من أفواه الرجال ولا تؤخذ اعتباطاً، فإنّ النغم ليس بالأمر الموكل إلى المزاج، بل قضايا منتمية إلى قوانين علميّة هي في غاية الدّقّة».

(١) تأمّل -رحمك الله- هذا الكلام الذي يتفق مع ما قرّره أئمة علم التجويد، وإني لأستغرب ممن يُقرّر هذا الكلام ثم بعد ذلك ينقضه ويدعو إلى عكسه، فلا أدري ما سبب هذا التناقض!!

١٥- وقال (ص١٠٢): «. . . وأن يبتعد عن التقليد الأعمى، ولا يتقمص شخصية غيره، ولا يذوب في شخصيته، حيث نجد بعض القراء إذا أحبّ قارئاً قلّده في كل شيء؛ في صوته، ومشيته، وحتى في حركاته، فكأنما ذاب في شخصيّته، قال ﷺ: «لا يكن أحدكم إمّعة . . .»[2]، فإنّ عليك أن تستقلّ بشخصيتك.

واعلم أنّ الله خلقك نسيجاً وحدك، لك صورتك، لا يشابهك فيها أحد، واستعدادك، ومواهبك، فأنت تقرأ بصوتك، وتقدّم إمكاناتك.

قالوا: إنّ غراباً أراد أن يقلد الحمامة في مشيتها، فنسي مشيته وما استطاع أن يقلد مشية الحمامة!

وكذلك القارئ الذي يريد أن يقلد آخر فيتعب، فلا هو أحسن صوت ذاك، ولا هو أسمع صوته الذي منحه الله -عزَّ وجل-، فهذا له اجتهاد، وهذا له اجتهاد».

هذا ما ذكره الشيخ زيدان في كتابه من تأصيلات؛ هي في حقيقتها موافقة لِما ذكره

(٢) حديث ضعيف، انظر «نقد نصوص حديثية» لشيخنا الألباني -رحمه الله-.

أهل العلم من الحكم على هذه المقامات، وقراءة القرآن بها، وأنّ ذلك لا يجوز، ولا أريد في هذه العجالة أن أزيد على ما نقله الشيخ زيدان، وما ذكره تأييداً لكلام أهل العلم.

**ثانياً: بعض الملاحظات والمآخذ على الكتاب:**

١- قال (ص٣١) عن الأطفال وسهولة تعليمهم: «مما يسهّل عليه محاكاة الأصوات وتقليدها».

٢- وقال: (ص٧٠): «١- لا بدّ لكلّ قارئ في بادئ الأمر من تقليد قارئ جيد، ذي صوت يتأثّر به، ويطرب لأدائه وتلاوته، فيتتبع قراءته وطريقته، ويحاول تقليده»[1].

٣- وقال (ص٣٤): «لأنّ النظر في المصحف عبادة»[2].

٤- وقال (ص٦٦): «وعلم الأصوات والألحان علم قائم بذاته له قواعد وأساليب، وهو علم كسبي يؤخذ بالتلقي والمشافهة»[3].

٥- وقال (ص٦٨): «تغيرات إيقاعيّة».

٦- وقال (ص٧٠): «فينتقل من الطبقة الهادئة، ثم يرتفع وينتقل بين قرار وجواب، حسب سياق الآيات، وذوقه وعلمه بالمعاني، والتحزين، والانتقال من حال إلى حال، ومن مقام إلى مقام، ثم يعود ويختم القراءة في الطبقة الصوتيّة التي ابتدأ بها، . . . ثم قال: ويحسن أن يكون ذلك تحت إشراف شيخ مختص بهذا الفن».

٧- وقال (ص٧١): «١- النغمة الهابطة من أعلى إلى أسفل على آخر مقطع وقع عليه النبر أكثر ما تستعمل في التقرير، لتفيد أنّ الجملة قد انتهت.

---

(١) الكلام على هذه الفقرة والتي قبلها يردُّ عليها ما نقلته عن الشيخ زيدان في الفقرة رقم: (١٥).

(٢) العبادة لا تثبت إلا بدليل، ولا دليل يدلُّ على أنّ النظر في المصحف عبادة، وأما ما يستدلّ به من بعض الأحاديث، فهي إمّا موضوعة أو ضعيفة جداً، وليس المجال مجال بسط.

(٣) ولكن السؤال الذي يردُ هنا وهو: ما حكم إنزال هذه الأصوات والألحان على القرآن الكريم!! وهل كان من طريقة العلماء إدخال علم الأصوات في تعليم أحكام التجويد، أم لكل شيء من ذلك مجاله وتخصصه؟!!

٢- النغمة الصاعدة: من أسفل إلى أعلى على آخر مقطع وقع عليه النبر، تدل على أنّ الكلام بحاجة إلى إجابة، وغالباً ما يكون استفهاماً أو سؤالاً.

٣- النغمة المسطحة المتوسطة لا هي بالصاعدة ولا بالهابطة على آخر مقطع . . .

٤- النغمة الهابطة من أعلى إلى أسفل في عدة مقاطع في الجملة بإيقاع ثابت يدل على الحزن أو التحزين . . .

٥- النغمة الصاعدة من أسفل إلى أعلى في عدة مقاطع في الجملة بإيقاع ثابت يدل على الفرح . .

٦- النغمة المسطحة المتوسطة كموج البحر.

٧- وهناك تركيب بين هذه النغمات . . .».

٨- وقال (ص٧٢-٧٣): «(العوامل المساعدة على التنغيم) والتفعيلة والنبر والزمن:

١- العوامل الزمنيّة: وهي تشتمل على الإيقاع والميزان، أو مرتبة القراءة وطول الآية:

أ- الإيقاع: وهو تتابع تنظيم للنبرات والوقفات -والإيقاع ظاهرة من ظواهر الحياة، كالنبض والتنفس، كل البشر يمتلكون الإيقاع- كتنظيم الخطوات عند سماع فرقة عسكريّة تعزف مارشاً عسكرياً عربياً، فيتم التنسيق بين الأثر السمعي والاستجابة الحركيّة.

ب- ميزان الحرف ومقدار كل حرف ومدته الزمنيّة.

جـ- التفعيلة: النماذج الإيقاعيّة المحددة ومقدارها الزمني المتناسب، مثلاً ثلاث ضربات إيقاعيّة متكررة في الوحدة الواحدة، أو ضربتين إيقاعيتين على نحو متكرر كبحور الشعر.

د- النبر في أول التفعيلة أو في وسطها أو آخرها.

هـ- الزمن . . .

٢- العوامل العاطفيّة والاستعداد النفسي. . . .

٣- العوامل الذهنيّة . . .

٤- فهم معنى الآية ومحاولة تصويرها بما يتناسب مع اللفظ . . .

فعلى القارئ أن يحاول صقل الموهبة، وتغيير الإيقاع، ومحاولة تقليد النغمات الفرديّة، واختيار درجة السمع النسبيّة،

والفرق بين النغمات، والحس التناغمي، وإنعاش الذاكرة النغمية، وطبقة الصوت المناسبة لإمكانياته، والتفريق بين نغمات الأصوات، فيجب على القارئ أن يتفهّم كلّ ما يتعلق بصوته من حيث كيفية وطرق النطق، وينمي ويهذب ويطور قدراته الخاصّة، والتحكم التام بأجهزة وأعضاء إصدار الصوت، وإصدار أعذب الأصوات لديه بأقل مجهود، والقدرة على حماية ووقاية صوته من الأمراض الوظيفيّة الناتجة عن الاستخدام الخاطئ لصوته».

٩- وقال (ص٧٣-٧٤): «الأخطاء في النغمات، النغمة المسطحة: الخط العمودي للصعود والهبوط، والخط الأفقي لطول الإيقاع في الجملة كما هو مبيّن في الرسم شكل (١) -ثلاث وحدات-».

١٠- وقال (ص٧٦): «ولا بد من تدريب قواعد الإلقاء الصوتي أداءً ونغماً، ولا بدّ من إيجاد فئة يحسنون تعليمه، وفئة يجيدون تلاوته، ولا بدّ من اكتشاف الأصوات الرخيمة، والحرص على تعليمها ونقدها وإظهارها»[1].

---

(١) نلاحظ في هذه الفقرات من رقم (٥) إلى رقم (١٠) أنّ المؤلف أخذ يذكر مصطلحات أقرب إلى أن تكون خاصّة بأهل الفن والموسيقى، ويقع فيما يذمه من قبل، ويهدم فيما أصّل فيما نقلته لك من كتابه هذا؛ من ذلك: تغيرات إيقاعيّة، قرار وجواب، وينتقل من مقام إلى مقام، ثم يعود ويختم القراءة في الطبقة الصوتيّة التي ابتدأ بها.

ثم أخذ يُعدد أنواع النغمات مع تعريف كلّ واحدة منهنّ، ثم بيّن الأخطاء التي تقع في النغمات ووضع رسومات توضيحيّة لذلك، ثم هو يوجب على القارئ أن يتفهّم كل ما يتعلّق بصوته من حيث كيفية وطرق النطق، وأن يعرف الفرق بين النغمات، والحس التناغمي، وإنعاش الذاكرة النغمية، وطبقة الصوت المناسبة لإمكانياته، والتفريق بين نغمات الأصوات.

أخي -بارك الله فيك- بعد هذا الذي نقلت لك -بالله عليك- هذه الأمور التي ذكرها الشيخ زيدان: مِن تخصّص مَن؟ هل هي من تخصّص أهل التجويد؛ أم هي من تخصّص أهل الموسيقى؟!!!

ولا يوجد عندي أدنى شك مِنْ تجويز من يدعو إلى مثل هذا بأنّه يُجوّز دخول معهد الموسيقى لتعلّم النغمات والإيقاعات والمقامات، حتى يستطيع تطبيق هذا الذي يدعو إليه الشيخ زيدان وأمثاله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وفي الختام أقول: رحم الله أئمتنا الذين كانوا يُشدّدون في مسألة التّفرد بالأقوال، وألا يتكلّم الإنسان بقول ليس له فيه إمام، فما بالك في مسألة كثُر النكير عليها من الأئمة، بل أكاد أقول: إنّ المسألة مُطبق عليها من الأئمة، فلا يوجد إمام من الأئمة -المقرئين منهم- من يقول بجوازها؛ ولا أدلَّ على ذلك من أنه لا يوجد في أيّ طريق من الطرق التي يُقرئ بها الأئمة، واسمع إلى الإمام القرطبي المتوفى سنة (٦٥٦هـ) في كتابه «كشف القناع عن حكم الوجد والسماع» (ص١١٣): «. . . كيفيّة قراءة القرآن نُقلت إلينا نقلاً متواتراً، وليس فيها شيء مِمّا يُشبه التلحين، ولا أساليب إنشاد الأشعار، فينبغي ألا يُجوَّز غيرها، وإنما قلنا ذلك؛ لأنّا قرأنا القرآن على مشايخنا، وهم العدد الكثير، والجمُّ الغفير، ومشايخنا على مشايخهم، وهكذا إلى العصر الكريم، وتلقينا عنهم كيفية قراءته مشافهة، فلو كان التلحين فيه مشروعاً لتعلّموه من مشايخهم، ولنقلوه عنهم، كما نقلوا عنهم المدّ والقصر، وما بين اللفظين، والإمالة، والفتح، والإدغام، والإظهار، وكيفية إخراج الحروف من مخارجها، فإنّه لمّا نقله الخلف عن السلف وعلّموا عليه، اتصل ذلك لنا وتلقيناه عنهم، وهذا جاء مع توفّر الدواعي على النقل وكثرة المتعمقين من القرّاء الغالين في كيفية قراءته، ومع ذلك فلم يُنقل عن أحد من القرّاء المشاهير، ولا عن الرواة عنهم شيء من ذلك، فدلّ ذلك على أنّ تلحين القرآن ما كان معروفاً عندهم، ولا معمولاً به فيما بينهم، فوجب ألا يُعمل به، ولا يُعرّج عليه، فإنه أمر مُحْدَث، وكلّ مُحدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، كما قال ﷺ» ا.هـ.

والنقولات في هذا الباب كثيرة، وقد جمعت -بحمد الله- أكثر من مئة وخمسين قولاً للعلماء على مُختلف العصور في إنكار بدعة تعليم المقامات والألحان في قراءة القرآن الكريم في بحث -مفرد- يسّر الله تمامه وإخراجه-.

أكتفي بهذا القَدْر، سائلاً العلي القدير أن يُوفقني والقارئ لكلّ خير، وأن يشرح صدر الشيخ زيدان لِما كتبتُ ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨].

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلّم.

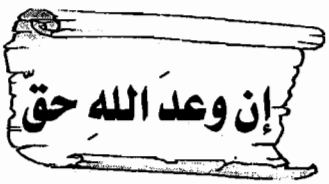

# نصرُ اللهِ وتحقيقُ وعدِه

• بقلم: فضيلة الشيخ محمد صفوت نور الدين

في غمرة الأحداث السياسية وصراع أمم الأرض ينسى المسلمون أنّ الله نصر نوحاً ﷺ لّما دعاه: ﴿ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾ [القمر:١٠]، ونصر هوداً وصالحاً –عليهما السلام– على كثرة عدوهم وقلّة ناصرهم من البشر، ونصر إبراهيم ولوطاً وسائر أنبيائه ورسله، ثم قال لهذه الأمّة: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾[النور:٥٥].

وقد تحقّق الوعد للمؤمنين من أصحاب النبي ﷺ، وكانوا في أمّة لا ينظر إليها أحد إلا بعين الاحتقار والاستصغار، فإذا بهم يملكون فارس والروم واليمن وإفريقيّة، ويتوغلون في أوروبا، وذلك لّما حقّق القوم الشرط ﴿ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾، حقّق الله لهم الوعد فاستخلفهم في الأرض، وأعمل فيهم سنته في كونه ﴿ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾، لكن الشيطان أغوى أجيالاً من بعدهم: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم:٥٦]، ففقدوا بتخلّيهم عن الوفاء بالشرط: ﴿ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾، فقدوا تحقُّق الوعد؛ فإذا ببلادهم تهان من الكافرين، والملحدين، واليهود، والمجوس، والصليبيين، وأعوانهم، وأضرابهم من الفجرة المجرمين، فكان أن غاصت بقاع واسعة من بلاد المسلمين تحت الشيوعيّة ونارها، وبلاد أخرى تحت الصليبيّة وكفرها، وكان أخيراً أن وقع بيت المقدس

أسير اليهود، إخوان القردة والخنازير، قتلة الأنبياء، والمغضوب عليهم، الملعونين في كتاب ربّ العالمين.

فهل من عودة إلى العزّة والنصر والتمكين؟

الجواب: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [النور:٥٥].

لكن ينبغي علينا هنا أن نعلم ما هو هذا الشرط؟

إنه الإيمان وعمل الصالحات.

أمّا الإيمان فأركانه ستّة: «أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره»، وهو الأساس الذي لا ينبغي أن نغفل عنه لحظة، ولا نهمل منه شيئاً.

أمّا عمل الصالحات فمعناه: فعل المأمورات واجتناب المحظورات طاعة لله وإيماناً برسوله ﷺ، فيدخل فيها تصحيح الاعتقاد، وضبط العبادات على سنّة الرسول -عليه الصلاة والسلام-، ويدخل فيها كذلك تنظيم البيوت من بر للوالدين، وإحسان للزوجات والأبناء، ومراعاة لحقوق الجوار، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وغض للبصر، وحفظ للفرج، وانتهاء عن الربا والغش والظلم، كل ذلك وأمثاله داخل في قوله -تعالى-: ﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾، لكن الآية جاءت في سورة النور وهي السورة التي نزلت مؤذنة بعهد جديد في سيرة الرسالة الخاتمة من حياة النبي ﷺ، فكان نزولها عقيب غزوة بني المصطلق التي جاءت بعد غزوة الأحزاب، والتي نزلت في شأنها سورة الأحزاب، وبينهما وقت قصير حيث كانت غزوة الأحزاب آخر غزوة تهاجم فيها جيوش المشركين المسلمين فتقاتلهم في المدينة وبعدها قال النبي ﷺ: «الآن نغزوهم ولا يغزوننا» هذه رواية البخاري.

فجاءت سورة النور تطهر المؤمنين ليقوموا بواجب الجهاد والدعوة، وليتأهلوا بالطهارة والطاعة ليكونوا محلاً لنصر الله -تعالى-، فيطهرهم بهذه الأوامر الشرعيّة التي فصلتها السورة الكريمة، وأجملتها الآية الجامعة العظيمة في قوله -تعالى-: ﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾، وإن كانت كلمة ﴿ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾

تعني المأمورات امتثالاً، والمنهيّات اجتناباً، فإنّ مأمورات سورة النور تصبح مقصودة بطريق الأولى، فإقامة الحدود الشرعيّة، وحفظ الألسنة عن الخوض في أعراض الخلق، وغض البصر عن المحارم، وحفظ السمع وآداب الاستئذان في البيوت، وتعليم الأطفال ذلك، وحفظ الجوارح والفروج، كل ذلك من الصالحات، وبنظرة عابرة إلى السورتين نرى الكثير من الأوامر، ومنها: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور:٢١].

وفيها: ﴿ ٱلْخَبِيثَـٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَـٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَـٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَـٰتِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [النور: ٢٦].

وفيها: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ [النور:٣٧].

وفي سورة الأحزاب: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ۝ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۝ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴾ [الأحزاب:٩-١٤].

وفيها: ﴿ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب:٢٣].

وفي السورتين الإرشادات القويمة والأوامر التي تحيا بها الأمّة المستقيمة لتكون محلاً لنصر ربّ العالمين، فليس العدد ولا العدة إنما النصر، نصر الله ينصر الذين آمنوا: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ [غافر:٥١].

والذي ينظر بعين الإنصاف لقوله -تعالى-:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:٣٨-٤٠].

والذي يستعرض الآيات التي نزلت في غزوة بدر وفي غزوة الأحزاب، وفي غزوة حنين -وغيرها- يعلم أنّ الله -سبحانه وتعالى- أيّد المسلمين في بدر بالملائكة المُسوِّمين يقاتلون معهم، وأيدهم يوم الأحزاب بريح وجنود، فنصر عبده وأنجز وعده وهزم الأحزاب وحده، ويوم حنين صرف الجموع الغفيرة عن ميدان القتال، ففروا وولوا مدبرين، وأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين، وأنزل جنوداً لم تروها، وعذّب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين.

والمتدبّر لحدث الهجرة يعلم أنّ الله أبطل كيد الكافرين وأخذ بأبصارهم عندما خرج من بيته، وعندما جاءوه عند الغار، وردّ عنه سراقة بن مالك، وأكبّه على جواده عندما لحق فسلمه في رحلته، وخيّب الله الكافرين في سعيهم.

بهذا يعلم كل مسلم أنّ عليه واجباً لا يجوز أن يتخلى عنه في عمل الصالحات، وهو سبب نشر دعوة الإسلام، ودعوة العز لأهله، وإرجاع الأرض المسلوبة، وعودة المسجد الأقصى والأندلس وبخارى وسمرقند، وسائر الأرض السليبة المنزوعة، وأن الأمر ليس إلا بنصر الله العزيز الحكيم، لا بالدعاوي الفارغة الجوفاء، ولا الحناجر العالية، ولا الأصوات المبحوحة، والمسيرات الطويلة، إنما بإقامة شرع الله ودينه.

وجاءت الآية التالية في سورة النور بعدها بقوله: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النور:٥٦].

فبالجباه الساجدة، والأيدي المتوضئة، والأنفس الزكيّة، والأجساد المتطهرة، والألسنة المحفوظة يقع النصر والتمكين، بذلك يشعر كل أحد أن عليه واجباً نحو النصر، نحو القدس، نحو دماء المسلمين، نحو ديار المسلمين، فليؤد كل أحد الواجب عليه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد:٧]، فكيف تطلبون نصره وأنتم تفرطون في شرعه: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، واعلم أنّ الأمّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، جفت الأقلام وطويت الصحف».

فليؤد كل واحد أمانته، وليراقب الله في رعيته، لينصرنا الله ويمكّن لنا في أرضه بديننا الذي رضيه لنا، ويبدل خوفنا أمنا، وفقرنا غنى لنقيم شرعه، ونعمل بدينه، والله يؤيدنا ويؤيد كل من آمن به وانتهج شرعه.

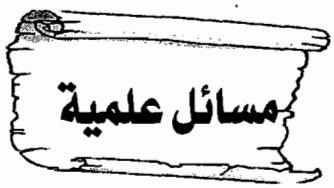

مسائل علمية

# إرشاد القاري
# بجواز إطلاق لفظة (شيء) على الباري

• بقلم: أبي عبدالله أسامة بن عبدالله الطيبي

فقد كنت في مسجد من مساجد المسلمين يوماً ما، وقام إمام هذا المسجد بالتدريس، وأئمة المساجد في هذه الأيام إلا من رحم الله -عزَّ وجل- يغلب عليهم قلّة التفقه في دين الله -تبارك وتعالى-، فقلّ فيهم الخير والله المستعان.

وكان مما قاله هذا الإمام -غفر الله له-: «كل ما عدا الله شيء، والله ليس بشيء»، أو كلمة نحوها في معناها، فقفّ شعري مما قال!!

وما أحسب أنّ هذه الشبهة قد دخلت عليه إلا لأنه قد انقدح في ذهنه أنّ إطلاق هذه اللفظة يقتضي التشبيه والتجسيم، وهذا الذي بسببه ضلّت الأفهام، وزلت الأقدام.

ثم إني توجهت إليه بالنصيحة مبيناً له بعض النصوص التي فيها إطلاق لفظة (شيء) على الله، فما كان منه إلا المكابرة والمعاندة للحقّ، فنشطت لكتابة هذا البحث مبيناً فيه النصوص الشرعيّة في هذه الحيثيّة، مدعماً بتوجيه العلماء الربانيين لهذه النصوص

الشرعيّة المستمدة من كتاب الله -عزَّ وجل- وسنّة نبيه ﷺ.

وقد أسميت هذا البحث: «إرشاد القاري إلى جواز إطلاق لفظة (شيء) على الباري»، هذا والله أسأل أن يجعل هذا البحث خالصاً لوجهه -جلّ جلاله-، وأن لا يجعل للنفس فيه حظاً ولا نصيباً، كما أسأله -سبحانه وتعالى- أن يفقهنا في ديننا، وأن يولّي إمامة الناس خيارنا وفقهاءنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

قال الإمام البخاري في «صحيحه»[1]: (باب: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ﴾ [الأنعام:١٩][2])، فسمّى الله -تعالى- نفسه شيئاً، وسمّى النبي ﷺ القرآن شيئاً، وهو صفة من صفات الله، وقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[3][القصص:٨٨].

حدثنا عبدالله بن يوسف: أخبرنا مالك، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد قال النبي ﷺ لرجل: «أمعك من القرآن شيء؟»، قال: نعم؛ سورة كذا وسورة كذا، لسور سمّاها[4].

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «وقد ذكر الأستاذ أبو منصور عبدالقاهر بن طاهر التميمي البغدادي في كتابه «الفرق بين الفرق» أنّ رؤوس المبتدعة أربعة، إلى أن قال: والجهميّة أتباع الجهم بن صفوان الذي قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال، وقال: لا فعل لأحد غير الله -تعالى-، وإنما ينسب الفعل إلى العبد مجازاً من غير أن يكون فاعلاً أو مستطيعاً لشيء، وزعم أنّ علم الله حادث، وامتنع من وصف الله -تعالى- بأنه شيء، أو حي، أو عالم، أو مريد، حتى قال: لا أصفه بوصف يجوز إطلاقه على غيره»[5].

وقال أيضاً -رحمه الله-: «قوله: وقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[القصص:٨٨][6]،

(١) كتاب التوحيد - الباب رقم (٢١).
(٢) سورة الأنعام (١٩).
(٣) سورة القصص (٨٨).
(٤) رواه البخاري (٧٤١٧).
(٥) «فتح الباري» (١٣/ ٤٩٠).
(٦) سورة القصص (٨٨).

الاستدلال بهذه الآية للمطلوب ينبني على الاستثناء فيها متصل، فإنه يقتضي اندراج المستثنى في المستثنى منه، وهو الراجح على أنّ لفظ شيء يطلق على الله -تعالى- وهو الراجح -أيضاً- . . . وأشار ابن بطّال إلى أنّ البخاري انتزع هذه الترجمة من كلام عبدالعزيز بن يحيى المكي فإنه قال في كتاب «الحيدة»: «سمّى الله نفسه شيئاً إثباتاً لوجوده، ونفياً للعدم عنه، وكذا أجرى على كلامه ما أجراه على نفسه، ولم يجعل لفظ شيء من أسمائه، بل دل على نفسه أنه شيء تكذيباً للدهريّة ومنكري الإلهيّة من الأمم، وسبق في علمه أنه سيكون من يلحد في أسمائه، ويلبّس على خلقه، ويدخل كلامه من الأشياء المخلوقة، فقال: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١][1]، فأخرج نفسه وكلامه من الأشياء المخلوقة، ثم وصف كلامه بما وصف به نفسه فقال: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام:٩١][2]، وقال -تعالى-: ﴿ أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ ﴾ [الأنعام:٩٣][3]، فدلّ على كلامه بما دلّ على نفسه ليعلم أن كلامه صفة من صفات ذاته، فكل صفة تسمّى شيئاً بمعنى أنها موجودة.

وحكى ابن بطّال -أيضاً-: أنّ في هذه الآيات والآثار رداً على من زعم أنه لا يجوز أن يطلق على الله شيء، كما صرّح عبدالله الناشئ المتكلم وغيره، ورداً على من زعم أنّ المعدوم شيء، وقد أطبق العقلاء على أنّ لفظ شيء يقتضي إثبات موجود، وعلى أنّ لفظ لا شيء يقتضي نفي موجود، إلا ما تقدّم من إطلاقهم ليس بشيء في الذم فإنه بطريق المجاز»[4].

ومن الأدلّة -أيضاً- التي يُستنبط ويؤخذ منها جواز إطلاق لفظ (شيء) على الله -جلّ جلاله- ما أخرجه البخاري في «صحيحه» (٣٨٤١)،

(١) سورة الشورى (١١).

(٢) سورة الأنعام (٩١).

(٣) سورة الأنعام (٩٣).

(٤) «فتح الباري» (١٣/ ٥٦٩-٥٧٠).

ومسلم (٢٢٥٦) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال النبي ﷺ: «أصدق كلمة قالها الشاعر لبيد: ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل».

وما أخرجه مسلم (٢٧٦٢) عن أسماء بنت أبي بكر أنها سمعت النبي ﷺ يقول: «ليس شيء أغير من الله -عزَّ وجل-»، وما أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٨٩) عن أبي موسى -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «ليس أحد أو ليس شيء أصبر على أذى يسمعه من الله -عزَّ وجل-؛ إنهم ليدعون له ولداً، وإنه ليعافيهم ويرزقهم».

قال الشيخ حسين بن عودة العوايشة في «شرح صحيح الأدب المفرد»[1] ما نصّه: «ليس أحد -أو ليس شيء- أصبر على أذى يسمعه؛ من الله -عزَّ وجل-: ليس شيء: كقوله -تعالى-: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ ﴾ [الأنعام:١٩]».

قال العلامة محمد بن إبراهيم: «. . . فإنّ باب الأفعال أوسع من باب الأسماء، كما بينه العلامة ابن القيم في كتبه، قال في «مدارج السالكين» (٣/ ٤١٥) في الكلام على الواجد: أطلق الله على نفسه أفعالاً لم يتسمّ منها باسم الفاعل: كأراد، وشاء، وأحدث، ولم يُسمّ بالمريد، والشائي، والمحدث كما لم يسم نفسه بالصانع، والفاعل، والمتقن، وغير ذلك من الأسماء التي أطلق أفعالها على نفسه، فباب الأفعال أوسع من باب الأسماء، وقد أخطأ أقبح خطأ من اشتق له من كل فعل اسماً، وبلغ بأسمائه زيادة على الألف، فسماه الماكر، والمخادع، والفاتن، والكائد، ونحو ذلك، وكذلك باب الإخبار عنه بالاسم أوسع من تسميته به؛ فإنه يخبر عنه بأنه شيء، وموجود، ومذكور، ومعلوم، ومراد، ولا يسمى بذلك»[2].

قال شيخ الإسلام: «وأمّا إذا احتيج إلى الإخبار عنه مثل أن يقال: ليس هو بقديم، ولا موجود، ولا ذات قائمة بنفسها، ونحو ذلك، فقيل في تحقيق الإثبات: بل هو -سبحانه- قديم، موجود، وهو ذات قائمة بنفسها،

(١) (١/ ٥١٦)

(٢) «مجموع فتاوى العلامة محمد بن إبراهيم».

وقيل: ليس بشيء، فقيل: بل هو شيء فهذا سائغ، وإن كان لا يدعى بمثل هذه الأسماء التي ليس فيها ما يدل على المدح كقول القائل: يا شيء، إذ كان هذا لفظاً يعم كل موجود، وكذلك لفظ: ذات، وموجود، ونحو ذلك، إلا إذا سمّي بالموجود الذي يجده من طلبه: ﴿ وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ ﴾ [النور:٣٩][1]، فهذا أخص من الموجود الذي يعم الخالق والمخلوق»[2].

**وإليك أيها القارئ الكريم طائفة عطرة من أقوال المفسرين بجواز إطلاق لفظة (شيء) على الله -عزَّ وجل-:**

قال الإمام الطبري -رحمه الله-: «يقول -تعالى- ذكره لنبيه ﷺ: قل -يا محمد- لهؤلاء المشركين الذين يكذبون ويجحدون نبوّتك من قومك: أي شيء أعظم شهادة وأكبر، ثم أخبرهم بأنّ أكبر الأشياء شهادة الله الذي لا يجوز أن يقع في شهادته ما يجوز أن يقع في شهادة غيره من خلقه من السهو والخطأ، والغلط والكذب، ثم قل لهم: إنّ الذي هو أكبر الأشياء شهادة شهيد بيني وبينكم بالمحقّ منا من المبطل والرشيد منا في فعله وقوله السفيه، وقد رضينا به حكماً بيننا»[3].

قال الإمام القرطبي -رحمه الله-: «قوله -تعالى-: ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةً ﴾ [الأنعام:١٩]، وذلك أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: من يشهد لك بأنك رسول الله فنزلت الآية؛ عن الحسن وغيره، ولفظ (شيء) هنا واقع موقع اسم الله -تعالى-؛ المعنى: الله أكبر شهادة، أي: انفراده بالربوبيّة، وقيام البراهين على توحيده أكبر شهادة وأعظم؛ فهو شهيد بيني وبينكم على أني قد بلغتكم، وصدقت فيما قلته وادّعيته من الرسالة»[4].

قال النسفي -رحمه الله-: «﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةً ﴾ [الأنعام:١٩] أي

(١) سورة النور (٣٩).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٩/ ١٦١).

(٣) «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» (٥/ ٢٠٥-٢٠٦).

(٤) «تفسير القرطبي» (٦/ ٢٥٧).

شيء مبتدأ، وأكبر خبره، وشهادة تمييز، وأي كلمة يراد بها بعض ما تضاف إليه، فإذا كانت استفهاماً كان جوابها مسمى باسم ما أضيفت إليه، وقوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ [الأنعام:١٩] جواب، أي: الله أكبر شهادة، فالله مبتدأ والخبر محذوف، فيكون دليلاً على أنه يجوز إطلاق اسم الشيء على الله -تعالى-؛ وهذا لأنّ الشيء اسم للموجود، ولا يطلق على المعدوم(١)، والله -تعالى- موجود فيكون شيئاً، ولذا نقول: الله -تعالى- شيء لا كالأشياء»(٢).

قال العلامة صديق حسن خان -رحمه الله-: «﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ﴾ [الأنعام:١٩] الشيء يطلق على القديم، والحادث، والمحال والممكن، والمعنى: أي شيء كبر شهادة، فوضع شيء موضع شهيد، وقيل: إنّ شيء هنا موضوع موضع اسم الله -تعالى-، والمعنى الله أكبر شهادة، أي: انفراده بالربوبيّة، وقيام البراهين على توحيده أكبر شهادة وأعظم، فهو شهيد بيني وبينكم»(٣).

قال العلامة الألوسي -رحمه الله-: «والشيء في اللغة ما يصح أن يعلم ويُخبر عنه، فقد ذكره سيبويه في الباب المترجم بباب (مجاري أواخر الكلم): وإنما يخرج التأنيث من التذكير، ألا ترى أنّ الشيء يقع على كل ما أخبر عنه من قبل أن يعلم أذكر هو أم أنثى، والشيء مذكر». انتهى.

وهل يطلق على الله -تعالى- أم لا؟ فيه خلاف، فمذهب الجمهور أنه يطلق عليه -سبحانه-، فقال: شيء لا كالأشياء، واستدلوا على ذلك بالسؤال والجواب الواقعين في هذه الآية، وبقوله -سبحانه-: ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص:٨٨]، حيث استثنى من كل شيء الوجه، وهو بمعنى الذات عندهم، وبأنه أعم الألفاظ فيشمل الواجب والممكن»(٤).

---

(١) وهذا فيه نظر.

(٢) «مدارك التنزيل وحقائق التأويل» (٢/ ١١).

(٣) «فتح البيان في مقاصد القرآن» (٣/ ١٤٠).

(٤) «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» (٤/ ١١١)، وبعده كلام متين في الرد على منع

وقد سئل علامة اليمن الشيخ مقبل بن هادي الوادعي -رحمه الله- هذا السؤال:

«س: هل يجوز وصف الله -سبحانه وتعالى- بأنه شيء، أو يقال عنه -سبحانه وتعالى- ذلك مع أنّ البخاري بوّب باباً في هذا الأمر في «صحيحه»؟

فأجاب -رحمه الله-: يجوز، قال -سبحانه وتعالى-: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال -سبحانه وتعالى-: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ ﴾ [الأنعام:١٩]»(١).

*** ملحق:**

ويَلحق في هذا الذي ذكرناه، ويدخل معه في نفس الباب دون شك أو ارتياب، إطلاق لفظة (شخص) على الله الملك القدوس من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل.

فعن المغيرة بن شعبة -رضي الله عنه- قال: قال سعد بن عبادة -رضي الله عنه-: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مُصفح عنه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «أتعجبون من غيرة سعد؟ فوالله لأنا أغْيَر منه، والله أغْيَر مني، من أجل غَيْرة الله حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا شخص أغْيَر من الله -تعالى-، ولا شخص أحب إليه العذر من الله، ومن أجل ذلك بعث الله المرسلين مبشرين ومنذرين، ولا شخص أحب إليه المِدْحَة من الله، من أجل ذلك وعد الله الجنّة»(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- بعد أن نقل كلاماً لأبي الحسن الأشعري -رحمه الله- فيه بيان معتقد الشافعي -رحمه الله- في إثبات ما أثبته الله لنفسه من أسماء وصفات بالدلائل القائمة على ذلك من كتاب الله -عزّ وجل- وسنّة نبيّه ﷺ ما نصّه:

---

الإطلاق، وفي جواز إطلاق (شيء) حتى على المعدوم، فراجعه فإنه مهم.

(١) «إجابة السائل على أهم المسائل» (ص٥٧٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٦٤، ٧٤١٦)، ومسلم (١٤٩٩).

«قال[1]: وسوى ما نقله الشافعي أحاديث جاءت في الصحاح والمسانيد، وتلقتها الأمّة بالقبول والتصديق، نحو ما في «الصحيح» من حديث الذات، وقوله: «لا شخص أغير من الله»، وقوله: «أتعجبون من غيرة سعد؟ والله لأنا أغير من سعد، والله أغير مني»، وقوله: «ليس أحد أحب إليه المدح من الله، ولذلك مدح نفسه، وليس أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن» . . . »[2].

وهنا شبهة لا بد مِن تفنيدها والرد عليها، حتى لا يذهب بعضهم مستدلاً بها لجلالة القائلين بها، ألا وهي: أن هناك إجماعاً على عدم جواز أن يوصف الله -عز وجل- بأنه شخص، كما نقل ذلك الحافظ ابن حجر -رحمه الله- ذلك عن ابن بطال، وابن فورك -رحمهما الله- في «فتح الباري» (١٣/ ٥٦٧-٥٦٨)، فقال: «قال ابن بطال: أجمعت الأمة على أن الله -تعالى- لا يجوز أن يوصف بأنه شخص؛ لأن التوقيف لم يرد به... ثم قال ابن فورك: وإنما منعنا مِن إطلاق لفظ الشخص أمور: أحدها: أن اللفظ لم يثبت مِن طريق السمع، والثاني: الإجماع على المنع منه... ».

والرد على هذه الشبهة يسير إن شاء الله، وهو من وجهين:

**الوجه الأول:** تساهَل كثير من العلماء في إطلاق الإجماع في كثير من المسائل، مع أنّ الإجماع منعقد على خلاف ذلك، أو أنّ هذا الإجماع منقوص بوجود المخالف، فكم من مسألة ادعي فيها الإجماع ثمّ تبيّن أنها من مسائل الخلاف[3]، ومن أجل ذلك قال إمام أهل السنّة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل كلمته الذهبيّة: «من ادعى الإجماع فهو كاذب، وما يدريه لعلهم اختلفوا»[4].

---

(١) أي: أبو الحسن الأشعري -رحمه الله-.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٤/ ١١٠).

(٣) ذكر هذه العبارة الإمام العلامة الألباني -رحمه الله- في «تمام المنّة» (٣٦٦)، وقد أحال إلى بعض كتبه التي فيها بعض الأمثلة المؤيدة لعبارته مثل: «أحكام الجنائز وبدعها» و «آداب الزفاف في السنّة المطهرة»، فارجع إليهما.

(٤) انظر «مسائل عبدالله بن أحمد» (ص٤٣٨-٤٣٩) نقلاً عن «إعلام الموقعين» (٢/ ٥٤)،

الوجه الثاني: الحديث ثابت ولله الحمد والمنّة، بل هو على شرط الشيخين البخاري ومسلم، كما ذكر ذلك أئمة هذا الشأن.

ويحسن في هذا المقام نقل كلام الشيخ علي ابن عبدالعزيز الشبل؛ وهو قولُه: «دعوى الإجماع باطلة، ولا يجوز نفي وصف الله بالشخص، كما صحّ ذلك في حديث الباب، ولا محذور في ذلك على ما توهمته المؤولة، فإنّ الشخص في اللغة: ما ارتفع وشخص وظهر، ولا أعظم من الله ولا أظهر، ولا أرفع ولا أكبر منه -سبحانه-، والله أعلم.

والشخص كالشيء ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾، وكالأحد «لا أحد أغير من الله»، فالواجب على المؤمن الإيمان بما جاء في الكتاب والسنّة إثباتاً وإطلاقاً ونفياً . . . ما ذكره ابن فورك وغيره من المؤولة من منع إطلاق الشخص على الله ووصفه بالغيرة، تعطيل لله عن هاتين الصفتين، والواجب الوقوف مع النص، وإثبات ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له رسول الله ﷺ، وعدم الخوض في ذلك بآراء العقول وتخريصات الأقيسة . . . وهو شخص على ما يليق به كسائر صفاته وأسمائه، نؤمن بذلك من غير تكييف، ولا تمثيل، ولا تحريف، ولا تعطيل، كما هو مذهب أهل السنّة والجماعة، والله أعلم»[1].

وصلى الله وبارك على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

(١) «التنبيه على المخالفات العقديّة في فتح الباري» (ص١١٧-١١٨)، وبعده كلام ماتع مانع فاظفر به تربت يداك، فإنه مهم

و«مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٩/ ١٤٧)، و«مختصر الصواعق المرسلة» لابن القيم (٢/ ٧٧٩).

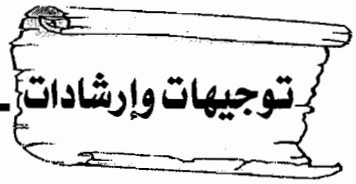

الحلقة الأولى

# جولات مع فقه أئمّة المساجد

• بقلم: الشيخ خالد مأمون آل محسوبي

هـذه سـطورٌ أكتبُهـا لإخـواني مـن أئمـة المساجد، المقصرين في أداء رسالتهم العظيمة، هذه الرسالة التي لا يُستهان بها، وهي -فوق ذلك- تكليف لا تشريف.

كتبتها لهم بأسلوبٍ أدبيّ نقديّ، آملاً -من وراء ذلك- استنهاض الهمم؛ لأنّ هذا المكان لا بُدَّ وأن يكون صاحبه صاحب همّة، وإلا فلا . . .!

وقـد جـاءت بهـذا الأسـلوب، الـذي لم أعـوِّلْ فيـه عـلى العـزو أو التخـريج؛ لأنـني أردتها كذلك، فهي نفثات مصـدور، رأى أن يبثها عـبر هـذه السّـطور، ومَـنْ كـان حالـه هكذا، شُغل بشيء عن أشياء! وهـذا بـالطبع له دوره في أداء مهمته، يعلم ذلك مَـنْ عـانى هذا الفنّ عموماً، وهموم الأمّة خصوصاً.

هـذا، وقـد جعلتهـا جـولات، ولـذلك مغزى سـوف يدركـه الفطـن مـن وراء هـذه السُّطور!

وقبل أن أسبح بهذه الجولات ضدّ التيـار -كما يقولون- أبـدأ بعـرضٍ سريـعٍ يتناسـبُ والمقصـود مِـنْ هـذه الجـولات مـع المعنـى اللُّغويّ لكلمة (جولة)، فهو المدخل الـلازم لها، فأقولُ وبالله أصول وأجول:

بين يَدَيْ هذه الجَولات:

١- حـول معنـى (جولـة) لغـةً: قـال في «القاموس المحيط»: «جالَ في الحربِ جولـةً، وفي الطواف جَوْلاً، ويُضـم»، وقـال: وجـال

القومُ جولةً: انكشفوا ثمّ كرُّوا»[1]، وفيه: «ورجلٌ جَوْلانيٌّ: عام المنفعة»[2]، وفيه: «جَوَّلَ تَجْوَالاً: طاف»[3].

وكلّ هذه المعاني تخدم موضوعنا، حيث الكرّ والفرّ، والمنفعة العامّة للقريب والبعيد، وكلها معانٍ قصدنا إليها عَبْرَ ما يأتي من سُطور هذا المقال؛ لأنّ القصد هو التوجيه والإرشاد، والنّقد والتقويم، والإصلاح . . .

وبهذا يتبيّن أنّ المعنى اللُّغوي يخدم المعنى الشرعي ويؤيده، وهذا ما قصدنا إليه في هذه الجَولات، وبه يتبيّن المقصود.

**الجَوْلَة (١)**

**الإمامُ والقرآنُ الكريمُ:**

إنّ القرآن الكريم أصلٌ أصيل في حياة المسلمين عموماً، وحياة الأئمة خصوصاً، وأعني بذلك: قراءته، وتدبّره، وتفهّمه، والفقه فيه (أحكاماً وسلوكاً) . . .

ولكن الأمر ليس كذلك عند كثيرٍ من الأئمة، فإنّ علاقة الكثير منهم -إلا من رحم الله- ضعيفة جداً بالقرآن؛ بل تكاد تكون معدومة، وليس أدلّ على ذلك مِن تكرار ما يقرؤونه دائماً في الصلوات!

والعجبُ ليس مِنْ ذلك؛ بل من قراءة هذه الآيات قراءة غير صحيحة أحياناً، ناهيك عن الوقف والابتداء الذي لا يؤبه له؛ بل العجب أنّ هذه الآيات تُردَّدُ دون فهم لها؛ بل لم يُكلّف الأئمة أنفسهم -يوماً ما- بقراءة تفسير هذه الآيات التي تُردّد كثيراً على المأمومين، وبخاصّةٍ وأنها آيات من المفصّل، وكثير منها من قصار السور!

بل الأعجب مِنْ ذلك أنني رأيتُ عند بعض الأئمة كتاب «المعين على فهم الجزء الثلاثين»[4] تعلوه الأتربة، وكأني به يشكو عدم القراءة فيه، ولله الأمر مِنْ قبلُ ومِنْ بعدُ!

---

(١) انظره: باب اللام، فصل الجيم (ص٩٨٠)، الطبعة السادسة ١٤١٩هـ، ومثله في «المعجم الوجيز» (١٢٨)، وفيه: (فرُّوا ثمّ كرُّوا).

(٢) وفي «المعجم الوجيز»: (جَوْلانيّ: عام المنفعة للقريب والبعيد، يَجُول معروفه في كلّ أحد).

(٣) وفي «المعجم الوجيز»: (جوّل البلاد، وفيها تجويلاً وتجوالاً: طوّف فيها كثيراً).

(٤) الذي كثيراً ما يُردّد على جماعة المسجد في كلّ الصّلوات -تقريباً- كلّ يوم!

أمّا القرآن الكريم في رمضان -خاصّةً- فحاله حالة غير مرضية، فالقراءة قراءة غير مجوّدة، وغير مُعْتنىً بها، بل تجد كثيراً من الأئمة يحتار مِنْ أين يبدأ؟ وبعضهم يقرأ من كل جزء ما يناسبه (صوتاً وحالاً!)، وبعضهم لا يُكلّف نفسه -وهو الذي يملك الأسباب كلّها- أن يقرأ ما سيقرؤه في الصلاة على جماعة المسجد على شيخٍ يصلح له قراءته، حتى تكونَ أوْقع في النَّفس؛ فتجد الخبط في كتاب الله -على طوله وعرضه طوال شهر رمضان- خبط عشواء!

وهكذا نجد القرآن الذي جاء لينهض بهذه الأمّة من كبوتها، يَضيع بين مَنْ هم مسؤولون عن إيصاله حقّ الإيصال إليها دون لحونٍ، أو تغيير في قراءته بما يخرجه عن حدّهِ المعتبر عند أئمة الأداء.

إنّ الحديث عن (الأئمة والقرآن) حديث ذو شجون؛ لأنّهُ مُرٌّ بكلّ ما تعني الكلمة، حتى إنك لتذهب إلى عشرات المساجد ولا تجد فيها مَنْ يعرف عن تفسيره إلا ما يعرفه غالب الناس من تفسير مبتوت الصّلة بأصل تفسير القرآن!

والسبب هو تقصير الأئمة -وفقهم الله- مع القرآن قراءةً، وتفسيراً، وتدبُّراً، وتفهماً، حتى في جزء (عمّ) الذي يُردّده الأئمة في المحاريب كثيراً!!

إنّ القرآن الكريم له كيفيّة مخصُوصة في أدائه، حتى يؤثر في نفس الإمام قبل المأمومين، وكثير من الأئمة إذا نوقش في هذا يكون جوابه الباهر، الجاهز: «إنّ هذه القراءة التي أقرأها تجزئ بها الصلاة!».

هكذا؛ وكأنه يبحث عن الحدِّ الأدنى، وفاقد الشيء لا يعطيه، وبعضهم إذا اشتدّ نقاشك معه -بخصوص هذا الأمر المهم- قال لك: إنّ التجويد ليس بواجب[1]! وهكذا تعالج أمور مَن يتولون أزمّة الأمور!

لقد عشتُ مع شيوخنا -وقت أن كان الشيوخ هم الأئمة- مدّةً، كان الواحد منهم يختم القرآن الكريم كاملاً في صلاته كلّ ثلاثة شهور، يُسْمِع المأمومين القرآن كلّه، وهذه

(١) انظر رسالتنا «الرد المفيد...»، وهي ردٌّ على كتاب «فتح المجيد...» للدكتور سُعود الفنيسان -وفقه الله-، الذي تبنى فيه هذا القول!

ختمة لصلاته غير الختمات التي يختمها مع نفسه!

إنّ القرآن الكريم يجبُ أن يكون دَيْدَنَ الأئمة؛ بل شغلهم الشاغل؛ لأنّ صاحب العلاقة الضّعيفة مع القرآن مُفْلِس؛ بل يُردّد ما يحفظه من قصار السُّور كأنه عادة لا عبادة[1].

وقارن هذا بما جاء في كتاب: «غاية النّهاية . . .» للإمام ابن الجزري -رحمه الله- من أنّ شيخه ابن الصَّائغ -رحمه الله- كان يقرأ في صلاة الفجر ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴾ [النمل:٢٠]، فظلّ يرددها حتى جاء هدهد، فوقف على رأسه!

فالقرآن حياة، والأئمة بدون هذه الحياة لا قيمة لهم؛ بل إنك لتجد مَنْ يهتم بأموره الحياتيّة[2]، فإذا جاء إلى الصلاة قرأ ما يُمليه عليه خاطره، والدّين يُسرٌ . . .

نعم . . . إنّ الدين يُسرٌ؛ لكنه لن يُشادّه أحدٌ إلا غلبه؛ لأنه دين متين، كان مِنْ أوّل آياته نزولاً على رسوله ﷺ: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل:٥]، وتأمّل مجيئها بعد قوله -تعالى-: ﴿ . . . وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل:٤]، تدرك أنّ لترتيل القرآن الكريم بصورته الصّحيحة التي تواتر عليها أئمة الأداء[3] -مع الفقه فيه[4]- أثراً عجيباً فيمن يَقْرأ القرآن، وفيمن يُقرأ عليهم القرآن!

---

(١) حتى إنك لتجد بعضهم -هداهم الله- يتحرك في صلاته وهو يقرأ ما تعوّد أن يقرأه؛ لأنه عادة، وهذا مِن قسوة القلب، كما أنه من عدم تدبّر القرآن، والتعايش معه حال أدائه، والسّبب الرئيس لذلك هو عدم فقه ما يقرأ.

(٢) وهل يمنع منها مانع؟! لا . . . ولكن إذا كانت هي الغالبة على هذه الصُّورة، فحينئذٍ يتوجّب العلاج؛ حتى لا يطغى جانب على آخر، والغالب -في مثل هذه الحالات، كما هو مشاهد- ضياع الولاية الشرعيّة!

(٣) وهذا الشأن قلّ من يهتم فيه، مع كونه سُنّة نبويّة مُتّبعة، يأخذها الآخر عن الأول، وبعض الأئمة يقولون لك بهذا الخصوص: وما نفع مثل هذه الإجازات؟! وإذا كانت هذه صورة التعامل مع مثل هذه الأصول (!) فما بعدها دلالة عليها!

(٤) وهذه لا تقلّ عن صحّة الأداء أهميّة، فتأمل!

وهذه النقطة وحدها -كافية- إن شاء الله- إذا تدبّرها الأئمة حقّ تدبّرها في فرض الخشوع على المصلين، وتقليل الحركة داخل الصّلاة، وغيرها من الأمور التي تنافي كمال الصّلاة، أو خشوعها[1].

ولعلّ هذه النقطة تمثل الانطلاقة الأولى الصّحيحة، التي يجبُ أن تكون هي انطلاقة كلّ إمامٍ حريص على توصيل القرآن لقلوب سامعيه من جماعة المسجد، أو غيرهم . . .

وعليه؛ فليت الأئمة -الذين قصّروا في هذا الأمر، وهم كثرة لا يُستهان بها- يُعالجون هذا الأمر؛ لنفع أنفسهم أولاً، وأمّتهم ثانياً . . .

**استطراد:**

وممّا أذكره هنا -استطراداً - أنّ بعض الأئمة يظلّ في الإمامة لسنوات وهو لم يحفظ -طيلة هذه السنوات- جزءاً واحداً من القرآن!

ولسائل أن يقول -وحُقّ له ذلك-: إنّ حفظ القرآن فرض كفاية، ثمّ إنّ النّاس -زيادةً على هذا- يتفاوتون في الحفظ، فكيف تلزم به الأئمة، والحال هكذا؟

فأقول: هذا كلام صحيح؛ لكن الذي لا يُوافق عليه هؤلاء الأئمة أنهم -مع هذه السِّنين- لا يفكّرون -مجرد تفكير- في تطوير أنفسهم فيما يحفظونه، وهذه هي المشكلة، وهذا ما جعل أداء أمثال هؤلاء الأئمة للقرآن أداءً روتينيّاً غير مؤثر، وسيأتي بقيّة كلام لهذه النقطة في الجولة [(١٢) الإمام وتطوير نفسه].

وممّا أذكره -استطراداً- كذلك أنّ بعض الأئمة -هداهم الله- لم يفكروا يوماً أن يدققوا حال قراءتهم القرآن في المصحف نظراً في الوقف والابتداء، البارزة علاماته بالمصحف، أو أن يعود إليها إذا تلجلج فيها حال قراءته القرآن في الصلاة!

**وللبحث بقية . . .**

---

(١) وكثيراً ما يشكو بعض الأئمة مِنْ عدم الخشوع، ولو تأمّلوا هذه النقطة، وعرّجوا عليها، لوجدوا مِنْ أثرها الشيء الكثير؛ لأنّ الخشوع بعيداً عن القرآن، خشوع مخدوش! كالخشوع والتباكي في الدّعاء دونه!

# دور المرأة المسلمة في تمكين الوحدة الإسلامية

● بقلم: نجلاء الصالح

قال الله -تعالى-: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران].

ما أعظم هذه الوصايا!! وما أحوجنا إليها في زمننا هذا، زمن الغربة، غربة الإسلام في بلاد المسلمين، غربة انحرف فيها المجتمع المسلم عن المنهج الرباني إلى دركات بعيدة عن الإسلام الصافي، في شتى شؤون الحياة، إلا ما شاء الله.

دعـوات قامـت تنـادي بالانفتـاح ... الانفتـاح الفكـري، والإعلامـي ... تطالـب بالحرية! أيُّ حرية يريدون؟ ومن أيِّ منطلـق ينطلقون؟

إنهم يريدون للأمة الإسلامية أن تحيا بـلا هوية عقديـة، لتـزداد فرقـة وانقسـاماً، عـلى فرقتها، يريـدونها حريـة تعبـير وانفتـاح بـلا ضوابط شرعية، وكان لهم ما أرادوا بقدر الله -تبارك وتعالى-، حتى إننا نجد أفراد الأسرة الواحدة، كـلّاً في اتجـاه! ممـا أدى إلى ضـعف الأمـــة ووهنهـــا، وانتشـــار روح اليـــأس والإحباط فيها.

قال غلاستون -المتعصب الإنجليـزي-: «لا تسـتقيم حالـة الشرق لنـا، مـا لم يرفـع الحجاب عن وجه المرأة ويغطـى بـه القـرآن، وتـؤتى المسـكرات والمخـدرات، وتـؤتى الفـــواحش والمنكـــرات، فتختـــلُّ قـــوى الإسلام».

عـن ثوبـان -رضي الله عنـه- قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «يوشـك الأمـم أن تـداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها»، فقـال قائل: ومن قلّة نحن يومئذ؟ قـال: «بـل أنـتم يومئـذ كثـير، ولكـنكم غثـاء كغثـاء السـيل، ولينزعنَّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفنَّ الله في قلوبكم الوهن»، فقال قائـل: يا رسول! ومـا الـوهن؟ قـال: «حـب الـدنيا وكراهية الموت»[1].

لقـد غـاظ أعـداء الإسـلام تكامـل هـذا الدين، وتمسك المسلمين به، حقـداً مـن عنـد أنفســهم وحســداً، نشروا العــري والرذيلــة والفساد بدواعي التقـدم والحضـارة، وخـدع بهم الكثير، فرفع الحجاب، وفسـد الشـباب، واستهزئ بالدين وأهله، واستبدل الذي هـو أدنى بالذي هو خير، فحلّت الفُرقة والقحـط والخراب، وآلت الأمة إلى ما آلت إليه.

عن زينب بنت جحش -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ استيقظ من نومه وهو يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب مـن شر قـد اقـترب، فتح اليـوم مـن ردم يـأجوج ومـأجوج مثـل هذه»، وعقد سفيان بيـده عشرة، وفي روايـة: «وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليهـا»، قلـت:

(١) «الصحيحة» (٩٥٨).

يا رسول الله؛ أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث»[1].

عرف أعداء الإسلام من أين يبدأون، بدأوا بإفساد المرأة، ليجعلوا منها معول هدم للمجتمع المسلم، إذ أن أول فتنة في بني إسرائيل كانت من النساء.

حذر من ذلك رسول الله ﷺ أمته بقوله: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»[2].

تعللت أصوات تنعق، تندب حظ المرأة المسلمة، وقامت جمعيات، و مؤتمرات، وانطلقت احتجاجات، تطالب بالتحرر! -تحرر من ماذا؟- إنه تحرُّر من ضوابط الشارع الحكيم حسب الأهواء ... طالبت بمنع الحجاب؛ لأنه بنظر أصحابها القاصر يمنع انطلاق العقل والتفكير! وطالبت بمنع التعدّد الزوجات؛ لأنه ظلم وخيانة! ... طالبت بالمساواة مع الرجل، في العمل، في الميراث، وغيره ... طالبت بحقوقها!! فجابت البلاد شرقاً وغرباً تستجديها بحجج باطلة، وشبه فاشلة .. تمردت بها على المنهج الرباني ... وبدعم من أدعياء الحضارة والتقدم رجالاً ونساءً! وتقليداً لوضع سئمته النساء في الغرب، وحرية دفعت ثمنها سعادتها، وراحة نفسية افتقدتها بعد ارتفاع معدلات التفكك الأسري، والجريمة بين النساء، ارتفاعاً مذهلا مع نمو حركات التحرُّر النسائية فيها، التي يتباكون عليها.

ذكرت «مجلة الفرقان» الصادرة في الكويت في عددها رقم (١١٤ص ٥٥) عن عوامل انحلال الحضارة الغربية: «أطلق عالم الاجتماع الفرنسي [بونار أوديل] هذا النداء وهو بعنوان: «أنقذوا العائلة في الغرب من الموت»، وذلك بعد دراسة استمرت سنتين، توفر لديه فيها من المعلومات والإحصائيات عن وضع المرأة في الغرب، والأسرة بشكل عام، ما يثبت أنه قد حان الوقت أن تقرع أجراس الإنذار في كل بيت من بيوت الغرب، فقد تنقل هذا الباحث المتخصص

(١) «مختصر مسلم» (١٩٨٧).

(٢) «مختصر مسلم» (٢٠٦٨).

بين مختلف البلاد الأوروبية وعبر الأطلسي مرورا بالولايات المتحدة وكندا، وكانت حصيلة دراسته كتاباً بعنوان: «أنقذونا»، وهذا الكتاب عبارة عن مجموعة لقاءات وحوارات وقصص سمعها من النساء الغربيات وبعض الأطفال في الأسر، الذين أبدوا جميعاً استياءهم واستنكارهم للحال التي وصلت إليها المرأة تحت ما يزعمون من حقوق للمرأة ومساواتها بالرجل».

قال الله -تعالى-: ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [التوبة:٦٩].

قال العلاّمة السعدي -رحمه الله تعالى- في «تفسيره» (٣/ ٢٦٣): «أي: خضتم بالباطل والزور وجادلتم بالباطل لتدحضوا به الحق! فهذه أعمالهم وعلومهم: استمتاع وخوض بالباطل، فاستحقوا من الله -سبحانه-، العقوبة والإهلاك ما استحق من قبلهم من فعلوا كفعلهم ...».

تلك الحرية التي يريدون! تخبُّط، وضلال، وانحراف عن طريق الحق والهداية! حرية مقتها حتى أصحابها، أما لنا فيما حلَّ بهم عبرة؟! أما آن لنا أن نراجع أنفسنا؟! أما يكفي ما تعاني منه الأمة من الهلاك، والبلاء، وتكالب الأعداء؟

ألا نرضى بما قسم الله -تبارك وتعالى- لنا في قوله: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [النساء:٣٢].

أختاه: إن النساء شقائق الرجال، وإنّ الله -تعالى- امتنَّ على المرأة المسلمة، فأوصى بها، وأكرمها، وأنصفها، ورفع الظلم عنها، وخلقها لأمر عظيم! جدَّ عظيم، له أثر عظيم في رفع شأن هذه الأمة، ووحدة كلمتها، إذ إن التمكين المرجو للأمة يبدأ من الأسرة، والمرأة الصالحة عنصر هام فيها.

**أسباب تعين المرأة في تمكين وحدة المسلمين:**

١ - التزام طريق النجاة، والإعراض عن الدعوات الباطلة، فلا نلقي لها بالاً، ولا نغترُّ بكثرة الأحزاب والجماعات.

فإن هذه الأمة لن تصلح إلا بما صلح به أولها، لن تصلح إلا بالرجوع إلى كتاب الله -تبارك وتعالى-، وسنة رسوله ﷺ؛ لأن ذلك هو الدين - باتفاق الأئمة -رحمهم الله-، وهو العصمة من الانحراف والوقوع في الضلال.

فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض»(١).

إنّ خير الناس القرون الثلاثة، سلفنا الصالح -رحمهم الله-، صدقوا الله -تبارك وتعالى-، واستقاموا على أمره، وجعلوا منه منهج تلقٍّ للاتباع والتطبيق قولاً وعملاً، لا منهج استمتاع بالأهواء، ومباهاة بالمراكز والمناصب، تمسكوا بما جاءهم من عند الله -تبارك وتعالى-، وعضُّوا عليه بالنواجذ، لم يلتفتوا إلى فلسفات الهند واليونان وغيرهما، ولم يبهروا بالحضارات السابقة، فكانوا غرباء لقلَّتهم وسط فِرَق ضالة مُنْحَرفة كثيرة، صلحوا وثبتوا، فتميَّزوا تميُّزاً واضحاً في كل شيء ظاهراً وباطناً، وذلَّت لهم فارس والروم رغم قلَّتهم، ففتحوا البلاد، وقلوب العباد.

إنَّ استقامتهم كانت سرَّ تميُّزهم وقوَّتهم، خافوا الله -تبارك وتعالى-، واتبعوا رضوانه، والتفوا حول رسوله ﷺ على أمر جامع، وكلمة سواء، فرضي الله عنهم ورضوا عنه، وبدَّل خوفهم أمناً، ومكَّن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وكانت بداية التكوين لدولة الإسلام، قال الله -تعالى-: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور:٥٥]، ما أحرانا أن نتبع خطاهم، وأن نقتفي أثرهم، في زمن الغربة والاختلاف.

(١) «الصحيحة» (١٧٦١).

فإيّاك أختاه أن تعيشي ورعيتك على الهامش، أو أن ترضوا بالقليل من متاع زائل في الحياة الدنيا، وتعرضوا عما أعد الله -تبارك وتعالى- لعباده الصالحين في الدنيا والآخرة، فإنّ الله يحب معالي الأمور ويكره سفاسفها.

قال الله -تعالى-: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران:١٠٥].

٢- أختاه: أنت راعية في بيتك، ومسؤولة عن رعيتك بين يدي الله يوم القيامة، أنت الأمل بإذن الله -تعالى- وتوفيقه، بإمداد هذه الأمة بالعناصر المؤمنة الصالحة، وتربية الأبناء التربية الإيمانية، وتأصيل قاعدة الولاء والبراء في نفوسهم على تقوى من الله -تبارك وتعالى-، وتنشئتهم على الرضا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، استسلاماً لأمره، ورضا بحكمه، وتقيّداً بشرعه، وتأدُّبا بآدابه، وحثهم على ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة، بالقدوة الصالحة ... بالحنان، والمحبة تلمّين شمل الأسرة، وتقوِّمين معوجَّها، بحيث يفهم كل فرد دوره، وما أراد الله -تعالى- منه في هذه الحياة الدنيا، لتبقى الأسرة المسلمة حصناً حصيناً ضدّ كيد الأعداء من شياطين الأنس والجن، إذ إن التمكين لِلَبِنات وحدة المسلمين، يبدأ بحسن الرعاية والتوجيه، قال الله -تعالى-: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٣- ما أروع أن تكوني البطانة الصالحة لزوجك، وذلك بحسن العشرة، وأخذ العبرة، وبذل التناصح، والتفاهم معه حول تربية الأبناء والتعامل مع الأهل، وما يعترض الأسرة من مشكلات بحلم، وأناة، لتبقى قوية متماسكة.

قال رسول الله ﷺ: «خير نسائكم الولود الودود المواسية المواتية إذا اتقيتن الله، وشرّ نسائكم المتبرجات المتخيلات، وهن

المنافقات لا يدخل الجنة منهن إلا مثل الغراب الأعصم»[1].

أعيني زوجك، وشدي من أزره للتمسك بهذا الدين، والدعوة إليه، والصبر على ذلك، طاعة لله، وابتغاء مرضاته، قال الله -تعالى-: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٢-٣٦].

أن كثيراً من النساء هداهن الله لا همَّ لهنّ إلا أنفسهن ... لا همَّ لهنّ إلا ... دنيا!... فاحذري أختاه أن تكوني له عقبة في طريق الخير، فتصدّي عن سبيل الله! ولنا في أمهات المؤمنين أسوة حسنة، فها هي خير النساء: السيدة خديجة -رضي الله عنها-، أول من آمنت من النساء برسول الله ﷺ، وأيّدته مادياً ومعنوياً، عند بدء الرسالة، ونزول الوحي، هدَّأت من روعه ﷺ، عندما أخبرها خبر الوحي، قائلة: «كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»[2].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: خرج رسول الله ﷺ ساعة لا يخرج فيها ولا يلقاه فيها أحد، فأتاه أبو بكر، فقال: ما جاء بك يا أبا بكر؟ فقال: خرجت ألقى رسول الله ﷺ، وأنظر في وجهه، والتسليم عليه، فلم يلبث أن جاء عمر، فقال: وما جاء بك يا عمر؟ قال: الجوع يا رسول الله، قال ﷺ: «وأنا قد وجدت بعض ذلك»، فانطلقوا إلى منزل أبي الهيثم بن التيهان الأنصاري، وكان رجلاً كثير النحل والشاء، ولم يكن له خدم، فلم يجدوه، فقالوا لامرأته: أين صاحبك؟ قالت: انطلق يستعذب لنا الماء، فلم يلبثوا أن جاء أبو الهيثم بقربة يزعبها -أي: يتدافع بها

(١) «الصحيحة» (١٨٤٩).

(٢) متفق عليه.

لثقلها-، فوضعها ثم جاء يلتزم النبي ﷺ، ويفديه بأبيه وأمه، ثم انطلق بهم إلى حديقته، فبسط لهم بساطاً، ثم انطلق إلى نخلة فجاء بقنو فوضعه، فقال النبي ﷺ: «أفلا تنقّيت لنا من رطب»، فقال: يا رسول الله إني أردت أن تختاروا، أو تتخيروا من رطبه وبسره، فأكلوا وشربوا من ذلك الماء، فقال ﷺ: «هذا والذي نفسي بيده من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة؛ ظلّ بارد، ورطب طيب، وماء بارد»، فانطلق أبو الهيثم ليصنع لهم طعاماً، فقال ﷺ: «لا تذبحنّ لنا ذات در»، فذبح لهم عناقاً، أو جدياً، فأتاهم بها فأكلوا، فقال ﷺ: «هل لك خادم ؟» فقال: لا، قال: فإذا أتانا سبي فأتنا، فأتي رسول الله ﷺ برأسين ليس معهما ثالث، فأتاه أبو الهيثم، فقال ﷺ: اختر منهما، فقال: يا رسول الله اختر لي، فقال ﷺ: «إن المستشار مؤتمن، خذ هذا، فإني رأيته يصلي، واستوص به معروفاً»، فانطلق أبو الهيثم إلى امرأته، فأخبرها بقول رسول الله ﷺ، فقالت امرأته: ما أنت ببالغ حق ما قال فيه النبي ﷺ إلا أن تعتقه، قال: فهو عتيق، فقال ﷺ: «إن الله لم يبعث نبيّاً ولا خليفة إلا وله بطانتان، بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، وبطانة لا تألونه خبالاً، ومن يوقَ بطانة السوء فقد وقي»[1].

٤- طلب العلم الشرعي من مظانّه، وحث الأبناء على ذلك، إذ إن الأمة في أمسِّ الحاجة إلى علماء ربانيين، يقودون الأمة إلى سبيل النجاة، لتكون أمة وسطا بين الأمم، كما أراد الله -تبارك وتعالى- لها.

فلا معاندة مع العلم، كحال اليهود الذين وصفهم الله -تبارك وتعالى- بالمغضوب عليهم، ولا غلوَّ مع الجهل، كحال النصارى الذين وصفهم الله -تبارك وتعالى- بالضالين في سورة الفاتحة.

واستشارة أهل العلم والدين ممن يوثق بعلمهم، وحسن اتباعهم، ورجاحة عقولهم، عند الحاجة إليهم، والتحلّق حولهم في مجالس الذكر، فإنهم منارات الهدى في الأيام الحالكات.

قال الله -تعالى-: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ

(١) «مختصر الشمائل المحمدية» (١١٣).

يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨].

٥- المسابقة إلى الطاعات، وترك المنكرات، والكف عن المعاصي، والصبر على الابتلاء، واستشعار الأجر العظيم على ذلك في زمن الغربة.

فعن عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من ورائكم أيام الصبر، للمتمسك فيهن يومئذ بما أنتم عليه أجر خمسين شهيداً منكم، قالوا: يا نبي الله! أو منهم؟ قال: بل منكم»(١).

٦- الحذر والانتباه الدائم، من مكر المارقين، والمتربصين من أعداء الدين، الذين أرادوا إقصاء المسلم عن دينه، وبخاصّةٍ المرأة وإفسادها، وإشغالها بتوافه الأمور، والجري وراء ماركات، وتقليعات، وفتن بثوها بالأسواق، ووسائل الإعلام، لتكون أكبر همها، ومبلغ علمها -باسم تحرير المرأة-، يريدونها متمردة تائهة حائرة تتخبط، ثم بفسادها تفسد الأجيال؛ لأنهم يعلمون أنَ المرأة المؤمنة بربها المتمسكة بقيمها، من الصعوبة عليها بمكان التخلي عن مبادئها الدينية وقيمها الأخلاقية، ذلك مما يشكل حجر عثرة أمام مخططاتهم وما يمكرون.

٧- اجتناب الفتن ، والاستعاذة بالله منها ما ظهر منها وما بطن، فقد أظلت المسلمين فتن كقطع الليل المظلم، فتنة الشبهات والشهوات، وصحبة السوء وأئمة السوء، وفرق الضلال، فتنة الأموال، والبنوك الربوية، فتنة الأزواج والأولاد، وفتنة النساء ... الله ... الله يا أختاه، إياك أن تكوني سبباً فيها.

عن أسامة بن زيد، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: «ما تركت بعدي في الناس فتنة أضر على الرجال من النساء»(٢).

وعن ابن عمر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «ما رأيت من ناقصات عقل

(١) رواه الطبراني، انظر «الصحيحة» (٤٩٤).

(٢) متفق عليه.

ولا دين أغلب لذي لبَ منكن، أما ناقصات العقل فشهادة امرأتين بشهادة رجل، وأما نقصان الدين فإن إحداكن تفطر رمضان، وتقيم أياماً لا تصلي»[1].

أخي في الله: أنت القوام في الأسرة ... أنت الربان لقيادتها ... والأمة بحاجة إلى علو الهمة، والتشمير عن ساعد الجد، بعد هذا التمزق الذي تتفطر منه الأكباد.

آن لنا أن نضع اليأس والإحباط جانباً، وأن نتفكر في الأسباب التي أدت إلى الهلاك والفساد، وضياع البلاد والعباد.

فلا تتخلَى أخي عن دورك الذي أكرمك الله -تبارك وتعالى- به، وأعدّك له، كما فعل الكثير من الرجال -هداهم الله- فاسترجلت نساء، وهانت عليهم أنفسهم، قبل أن يهونوا على الناس، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أخي في الله، أختاه: أما نرضى بما رضي الله -تبارك وتعالى- لنا بقوله -سبحانه-: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء:٣٤].

ما أجمل أن نحزم أمرنا، ونصلح شأننا كل من موضعه الذي ارتضاه الله -تعالى- له، فنقيم عوجنا!

ما أجمل أن نتواصى بالخير ... نتواصى بالحق والصبر فيما بيننا!.

ما أجمل أن نجتمع على كلمة سواء تجمع شمل المسلمين، مقرين بكل ما جاء في كتاب ربنا -تبارك وتعالى-، وما صح من هدي نبينا ﷺ، على فهم سلفنا الصالح -رضي الله عنهم أجمعين-، عاملين به كلٌ لا يتجزأ.

نبدأ بأنفسنا، في بيوتنا، وأبنائنا، ومن حولنا، ليقوم الدين على أساس متين، وليعود للإسلام عزه، ومجده، وماضيه التليد، وما ذلك على الله ببعيد، فإنه -سبحانه- ولي ذلك والقادر عليه.

---

(١) «صحيح الجامع» (٥٦٢٤).

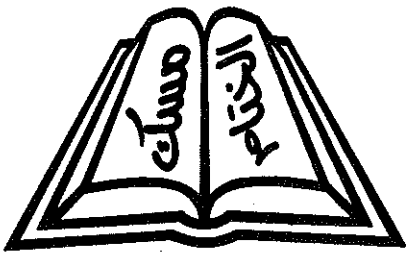


# وحدة الأفهام

• بقلم: أسرة التحرير

من أهم الواجبات العمل للإسلام، ولكن لا بدّ -أيضاً- من العمل من أجل توحيد المسلمين حول الإسلام، ولا يكون ذلك إلا بتوحيد أفهامهم قبل أبدانهم:

ومن سوء حظ كثير من العاملين أنهم قد اجتذبتهم دعوات حزبيّة، ضخموا جداً (العمل السياسي)، ونادوا بضرورة (اجتماع الأبدان) وضاعت (الأفهام)، لا سيما مع تنامي مؤسساتهم، وهيئاتهم، ومراكزهم، ومدارسهم، وأصبح تحقيق ذواتهم، وشاراتهم، وأسمائهم من خلالها دون ترشيد، وبات همهم تعميق ما ألفوه وعايشوه، ولذا وجدنا من هؤلاء مقاومة لـ(وحدة الأفهام) التي ينادي بها العلماء أكثر مما نجدها من غيرهم، ولذا أصبح من الأهميّة التركيز على ضرورة العودة إلى الإسلام من ينابيعه الصافية، وضرورة استمداد الأحكام على المواقف، والأحداث، والأشخاص من وحي السماء.

إنّ (وحدة الأفهام) هي أصل توحيد الإسلام، وهي المبدأ الذي تجتمع عليه (الأبدان): فالبدن الذي يحمل (عقلاً) مشاكساً أو مخالفاً لا ثمرة من عمله، فكيف إذا كان هذا العقل (عبداً) لمألوف، أو حزب، أو هيئة، فإنه لا يفرح بعطائه، ولا تخدم نتائجه، ولا تحمل مواقفه.

ويتربع على رأس (وحدة الأفهام): (التوحيد) المتمثل بالشهادتين: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنّ محمد رسول الله)،

والمعنى المجمل لها: توحيد الله بالعبادة، وتوحيد الرسول ﷺ بالاتباع.

ومن هذين الأصلين ينطلق توحيد الفهم عند المسلمين، وما عدا ذلك فهم حفظ للرسوم دون العلوم، وللأشكال والألفاظ والمبادئ دون الحقائق والمعاني، وفي هذا يقول ابن القيم -رحمه الله تعالى- في كتابه: «إغاثة اللهفان»: عن كيد الشيطان بالصوفيّة ما نصه: «أمرهم بلزوم زيٍّ واحد، ولبسه واحدة، وهيئة ومشية معينة، وشيخ معين، وطريقة مخترعة، ويفرض عليهم لزوم ذلك، بحيث يلزمونه كلزوم الفرائض، فلا يخرجون عنه، ويقدحون فيمن خرج عنه ويذمّونه».

ثم قال -رحمه الله تعالى-: «وهؤلاء اشتغلوا بحفظ الرسوم عن الشريعة والحقيقة، فصاروا واقفين مع الرسوم المبتدعة، ليسوا من أهل الفقه، ولا مع أهل الحقائق، فصاحب الحقيقة أشد شيء عليه التقيد بالرسوم الوضعيّة، وهي من أعظم الحجب بين قلبه وبين الله، فمتى تقيّد بها حبس قلبه عن سيره، وكان أخس أحواله الوقوف معها، ولا وقوف في السير، بل إمّا تقدّم وإما تأخّر، كما قال -تعالى-: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾ [المدثر:٣٧] فلا وقوف في الطريق إنما هو ذهاب وتقدم، أو رجوع وتأخّر»(١).

فلا بدّ للعاملين للإسلام أن يبقوا مستحضرين أهدافهم السامية، متمسكين بها، بعيدين عن الآصار والأغلال، التي تجعلهم يتقوقعون على أنفسهم، فتظهر فيهم كثير من العوارض المرضيّة!

ومما يؤكد هذا: ما قاله الإمام الشافعي في معنى (جماعة المسلمين) وذكر جماعة (الأبدان) و (الأفهام) فقال -رحمه الله تعالى-: «إذا كانت جماعتُهم مُتفرّقة في البلدان فلا تقدر أحد أنْ يلزم جماعة أبدانِ قومٍ متفرقين، وقد وُجِدَتْ أبدان تكون مجتمعة من المسلمين والكافرين والأنقياء والفجّار، فلم يكن في لزوم الأبدان معنى؛ لأنه لا يمكن، ولأن اجتماع الأبدان لا يصنع شيئاً، فلم يكن لِلُزُوم جماعتهم معنى، إلا ما عليه جماعتهم من التحليل والتحريم والطاعة فيهما»(٢).

وكلامه -رحمه الله- جيّد متين، جدير بالتّأمل، والله الهادي إلى سواء السبيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) «إغاثة اللهفان» (١٢٥-١٢٦).

(٢) «الرسالة» (٤٧٥).

مركز الإمام الألباني
للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية

بسم الله الرحمن الرحيم

مركز الإمام الألباني

# قسيمة اشتراك

الاسم:..........................................................................................................

البلد:............... المدينة:..................... الحي:.....................الشارع:...............

رقم المنزل:...................... الهاتف:........................ الفاكس:......................

العنوان البريدي: ....................................................................................

☐ اقتراحات أخرى: .................................................................................

....................................................................................................................

**بالبريد المستعجل يرسل إلى المشترك كل من:**

١- مجلة الأصالة ٢ - الإصدارات العلمية للمركز ٣- الإصدارات السمعية للمركز

قيمة الاشتراك السنوي:

- الأردن (٤٠) دينار — دول الخليج (١٥٠) دولار
- دول أوروبا (١٥٠) دولار — أمريكا (٢٠٠) دولار.

ترسل الحوالة إلى الحساب التالي مع إشعار إلى مركز الإمام الألباني:

- البنك الإسلامي الأردني – فرع طارق- الأردن.

رقم الحساب: ١١٢٥٩ - اسم الحساب: محمد موسى نصر وسليم عيد الهلالي.

-Jordan Islamic Bank for Finance and Investment

Tareq/Tabarbour Branch , Amman ١١٩٤٧ Jordan

Bank Code : JIBAJOAMXXX

Account Number : ١١٢٥٩

Account Name : Salim Eid Mohammad Hilali & Moh 'D Mousa Hussein Naser

تلفاكس ـ مركز الإمام الألباني:٥٠٥٤٠٥٣ (٦ ٢ ٠٠٩٦).

Telefax : ٠٠٩٦٢٦٥٠٥٤٠٥٣ - www.albani-center.com - E-mail: albani١٤٢١@hotmail.com